B



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠١٤ - ٢١٢٤



الإيمان والعلم الحديث

محمد حسين الأديب

قامت بإعادة طبعها
شعبة التراث الثقافي والديني
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م



Ǧèǽǖţä ǦɆǼÊΣä ǦǤǪȞöä - Ǧèǽǖţä ǒƔǣǍȭ : ȧäȀȞöä
ĎčđďĚĔ : ƵǩǞŁ - ǦɆƺǞǑǯöäȘ ǦɅȀȮǞöä ɹȘǘÎöä ɭÊę
imamhussain-lib.com
Email: info@imamhussain-lib.com

БÅĤǩ ¢ȶÊǣ
ǦΛÅ̏ȮÅöä ɉşűÎöä ȴÊę ǦɳǼȪɳ

gɎÔöäş ÛȻÅ̏Îφş ¢ȞǤùş ȴŸȞöä ȮŁǗ ǫäÅ̏ǩ ȘÅǵ Ž ¢ϙȝÅÛõ ÅΛȪʐş ɃǾöä ! ǼȶΣä
.ȳäÅ̏Ȯöä ¢õǗş ɁÅÛÔʈä ǼȶƮ ȳÅφɟä ǼɆè ɁŸȝ ȳɎÊöäş
ŏÅȶŸȞõ øǼò Åɳ Ȱõ ȸȝ Ì ɆϙÅϙöäş ǬǶǤöä ɁŸȝ ƗΛǼöäş ŽÅȪǯöä ǫäÅ̏ϙöä ǦǤȞì ǨǣǕǻ
ǦɆȶŸȞöä ğÅȾƨä ȐȞǣ ɁŸȝ ¢ȞΛȁʐǩş ¢ȞǤùş ÛÅ̏ǣÅ8öä ȸɳÂöä Ž ǦèǼȪʈä ǦΛΛǼʈä ȻǾŁ
ȴÊę Ž ǦǤȞÎöä ¢ǣ ȳʐȪǩ ɃǾöä ǼȾƨä äǾŁş Û¢ǣ ɁǾϙȜ ǡǯɳ ɉʐȮɆõ ɁȪǤǩÅɳ ȗÅϙǵɍäş
:ǦɆõÅϙöä ǿʐɳɟä ¢Åɳ ǻäÅ̏Λ ǦΛÅ̏ȮÅöä ɉşűÎöä
.ƙȑÅʈä ŏÅȶŸȞöä ǫäÅ̏ǩ ɁŸȝ ȗÅÅΣä .Č
ÛɄȑÅʈä Ž ǦɆʐÅȪǯöäş ǦɆȶŸȞöä ǼǺÅöä ȓÅÎφ ɁŸȝ ȻÅ̏Ȯöä ȔǿÅȪöä ţɎùä .č
.ǭ̄äǾφǗ ȝȶϙǱʐʈä ǦʐÅȪϙ ȴɆȪǩ ¢õ ȴÊϙɆõ
ȯɎǹ ȸɳ ǦȪǣÅÊöä ȯÅɆǱɟÅǣ ƙÅȪǯʈäş ŏÅȶŸȞöä ȸɳ gÅȑÅΣä ȯÅɆǱɟä Ȕǣø .Ď
.gǾʐÅΛöä ȻǾŁ
.ǦɆʐÅȪǯöäş ǦɆȶŸȞöä gåÅÅϙèɍä .ď
gåÅÅϙèɍ ÅƮʐŸǵ ǦʐÅ̏Ȟɳş ō̄äǾφǗ ȝȶϙǱʐʈä ¢ǱäʐǩǨφÅõ Ɣöä ȰõÅÎʈÅǣ ǦùÅǵɋä .Đ
.ɁÅ̏ǹǗ gÅɳ ÅŁøäÅ̏Ȯǩ ǼΛȝ ȯʐŸΣä ȻǾŁ ȸɳ
ȴȾəÅÛȝş ȴőÅùÅÎφş ȴȚäʐǵǗ ɁŸȝ ţɎùɋäş ƙÅȪǯʈäş ŏÅȶŸȞöä ŏÅƧǗ ǦʐÅ̏Ȟɳ .đ
.ȴŏ ŏäǼϙęȐõ
ŽÅȪǯöä ǫäÅ̏ϙöä ǦǤȞì ȮǤę ȸɳ ȓÅÎΛöä äǾŁ ¢ȮȪƷ ɉǗ ȮɳǕφ Ɣöä øʐɳɟä ȸɳ Ȭ̄öǣ ƘɖĢş
.ǦɆʐÅȪǯöäş ǦΛÅ̏ȮÅöä ɉşűÎöä ȴÊę Ž ƗΛǼöäş

ɃşɎϙÅöä ɄŸȝ ǸɆÎöä - ȴÊȪöä È ɆəǾ

ما في الكتاب

هـذا الكتـاب: ينقـل إلى القـارىء أحـدث الآراء الفكريـة، وآخـر النظريـات العلمية الحديثة، والا كتشافات الفلكية الجديدة، لأعظم المفكرين، وأكبر العلماء المصـريين، مـن ذوي الخـبرة الواسـعة، في أهـم الأمـور التـي تهـتمّ البـشرية، والانسـانية، في الحيـاة الـدنيا، مـن وجـوب التـدّين بالـدين، مـع بيـان الفلسـفة والحكمة، الحقيقيتان للزوم ذلك.

ثم يعرض الأديان ويقارن بـين كـل منهـا، ويثبـت خـير الاديـان النافعـة لهـذا الانسان، في مثل هذا العصر والزمان، ويبرهن على وجود الخالق، بأحدث الأدلة العلمية المبتكرة، ويثبت يوم المعاد، بالطرق العلمية الجديدة.

وفي هذا المؤلف يجد الانسان طريقـه إلى الايـمان الصـحيح عـن طريـق العقـل والعلـم، لا عـن طريـق الشـعور والتعـاليم، ويجـد التأييـدات الكافيـة مـن علـماء عظماء، اشتهروا في الآفاق بعلومهم، ومكانتهم العلمية السامية.

وهناك حقائق علمية عجيبة، تعرض بشكل دقيق، بحيـث تـؤدي بالضرـورة إلى ايمان الانسان بوجود الله، واليوم الآخـر، والتوحيـد، وبابطـال فكـرة الالحـاد واللادينية، وحقائق عن القرآن والرسول الكريم في الاسلام.

وإلى جانب كل هذا فهو مجموعة علمية تهدى إلى أقوم السبل للنجاح والفلاح، والسعادة الابدية الحقة.

فعلى الذين يروقهم الجمع بين التأمل والتفكير إلى الايمان والدين أو الذين يريدون أن يلموا بحقائق الأديان والايمان، او الذين يشعرون في قلوبهم شكاً بالدين، والايمان، أن يتصفحوا هذا الكتاب بدّقة. فهو يلائم المتجددين والمحافظين، والشيوخ والشباب، والمرشدين والمسترشدين ليسندوا ايمانهم بالعلم وقوة اليقين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد/١٦].

لا تنافي بين الدين والعلم

دين الاسلام دين الفطرة، بذلك يتوصل الانسان الى التوحيد، أي إلى لباب الاسلام وعصارته بالفطرة، دون أن يحتاج إلى معلم ومرشد ان لم يدنس الفطرة بما يلوث النفس الانسانية من معاص، وآثام، وظلم، وبغي، ولؤم، ونفاق، وغيبة، ونميمة، وكل ما حرم الله تعالى على لسان أنبيائه، وتأباه الفطرة الانسانية غير المدسوسة منها، وليست الفطرة هي من معطيات العقل، كما ان العلم حديثه وقديمه من معطيات العقل ايضاً.

اذن وجب أن لا يكون تناف بين العلم الحديث والدين إذا كان هذا العلم الحديث قد بلغ من الصحة والتأييد ما يجعله علماً حقيقياً لا غبار عليه.

وقد خرج عن مرحلة الظن والشكوك، فالنظريات التي توضع لتفسير بعض الحوادث الفيزياوية، أو بعض المشاهدات في عالم الطبيعة ليست من العلم الحقيقي في شيء لذلك نراها تتغير من حين لآخر وتعدل، فالنظريات تعيش مدة من الزمن ما دامت مفسرة لجملة من الحوادث، فاذا ما شوهدت حادثة لا تتفق والنظرية الموضوعة عدل العالم الطبيعي إلى موضع نظرية أخرى تفسر الحوادث السابقة واللاحقة، وقد خلط بعض المتعلمين بين النظرية والعلم الصحيح الثابت الذي لا تبديل له ولا تتغير كالرياضيات البحتة، فقالوا ان هناك تنافياً بين

ما جاء في الدين ومعطيات العلم الحديث، فاتهموا الدين ووصوه بما هو منه براء.

ان الله تعالى يقول: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾.[1]

فان الله عدّ الذين يحبون الليل بالعبادة، ساجدين راكعين يحذرون الآخرة ويرجون رحمة ربهم، وهم بين الخوف والرجاء، من العلماء وأولى الألباب، اذن ما هو ذلك العلم الذي يميز الانسان عن الجاهل ويجعله في عداد العلماء؟.

هو العلم بعظمة الله وجليل قدرته، هو ذلك العلم الذي يؤثر في النفس، فتؤثر في الجوارح، هو ذلك العلم الذي يحمل النفس على الأعمال الصالحة وكان ما من شأنه التطهير والتزكية، هو ذلك العلم الذي ينمى الفرد ويكلمه حتى يكون أعلى منزلة من الملائكة، فالعلم الحديث الذي لا يتجاوز سماء الأرض، ولا يبلغ بصاحبه إلى معرفة الله تعالى وتعظيمه وتقديسه، لا يطهر النفس ولا يزكيها، علم ضيق ناقص، مبتور، علم مادي حالك، بل وبال على البشرية، إن لم يستعمل في صلاح النفس وتكاملها.

وان قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.[2]

---

(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) سورة فاطر: ٢٨.

لا يفسر إلا على ما ذكر أي ان العلماء الذين أدى بهم علمهم إلى التوحيد الله وطاعته وتقديسه واتباع شرائعه هم الذين يخشون الله ويخافون عقابه.

فالعلم الناقص، أي العلم الذي لا يبلغ بالفرد الى المعارف الآلهية لا يورث الخشية.

وكم رأينا من علماء في الطبيعة والرياضيات وغيرها ملاحدة وجاحدين، يرتكبون المعاصي ولا يخشون الله، ذلك لأن علمهم مادي لم يتجاوز حدود المادة، فلم يسم بهم الى ما وراء المادة.

ان الله تعالى لم ينزل القرآن ليعلم الناس الفلك وعلم الحيوان وعلم النبات، أو الرياضيات، أو غيرها، ذلك لان العلوم لا تتناهى، وكلما اكتشف للعالم شيء بفضل الله شاهد وراء ذلك أودية من المجاهيل.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[١]

وانما انزل الله تعالى القرآن ليهدي الناس الى الطرق المؤدية الى تكميل النفس، والبلوغ الى معرفة الله بدرجة تكاملها، ذلك لان الكامل وهو الله لا يريد أن يرى فيما خلق شيئاً ناقصاً، وقد سن للانسان الناقص سنن الكمال، وهي سنة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾**.[٢]

---

(١) سورة لقمان: ٢٧.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

وما جاء في القرآن الكريم من الآيات الكونية انما هي عصارات العلوم وخلاصاتها يصل اليها العلم الحاضر كلما نما وتكامل.

كان العلم الحديث إلى زمن قريب يقول بسكون الشمس وان السيارات تدور حولها، وكان القرآن الكريم ينادي منذ الف وثلاثمائة سنة: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾.(١)

حتى إذا تكاملت المجاهر وتقدمت الرياضيات العالية بما فيها (الميكانيك الرياضي) اعترف العلم الحديث بحركة الشمس وانها تجري بسرعة ٧٢٠٠٠ كم في الساعة على شكل حلزوني نحو نجمة تسمى بـ (النسر الواقع).

فلا ينبغي أن يتسرع الشاب المتعلم في حكمه على الدين الاسلامي وان بينه وبين معطيات العلم الحديث تنافياً لأن ليس العلم الحديث إلا خصائص وقوانين أودعها الله في مخلوقاته في هذا العالم.

وليس الدين إلا قوانين ونظما ارسلها الله تعالى رحمة للعالمين، فالمنبع واحد والمبدأ واحد، ولا يعقل التنافي مع وحدة المنبع الفياض.

ولنعم ما ناقش به عالم ديني فيلسوفا كان يخالفه في العقيدة والمبنى وكان يدعى هذا «الفيلسوف) أنه نبي وكل ما يقوله يوحي اليه ان كان عالم أو فيلسوف نبي أيضاً، وان ما يقوله يوحي اليه أيضاً.

---

(١) سورة يس: ٣٨.

فأجابه هذا العالم الديني: ان كل ما تقوله أنت (أيها الفيلسوف) يوحي اليك وكل ما أقوله يوحى إلي، والمبدأ واحد، فماذا الاختلاف بيني وبينك؟ فلم يجد الفيلسوف جواباً، ذلك لأن النفوس مختلفة، منها ماهي طاهرة، بعيدة عن الخبائث والأدناس، ومنها ما هي ملوثة بفسوق سابقة، وملذات محرمة: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.[1]

ولكل من هذه النفوس رشحات ومظاهر ومعطيات، فلا يترشح من النفس الخبيثة إلا الخبيث، ففلسفتها خبيثة مضلة، ولا يترشح من النفس الزكية إلا الخير، والصلاح، والهدى، ففلسفتها نقية هادئة، لذلك أوجب العلماء العصمة للأنبياء وقالوا بوجوب عصمتهم وطهارتهم من الصغائر والكبائر، فالعلم الذي يوصل الانسان الى المعارف الآلهية، ويؤدي الى تكامله، إلى حيث لا يعلمه إلا الله هو ذلك العلم الذي يصح ان يقال عنه انه من الدين ومن مكملات الدين، فلا يرى تنافياً بينه وبين الدين، بل يراه في الدين، فالعلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء.

ان المؤلف المحترم هو من أولئك الذي فتح الله أبصارهم، فميزوا بين الحق والباطل، ولم تبهرهم بهرجة القرن العشرين، والسفسطة التي تتجلى بلباس العلم، ولم تؤثر فيهم مظاهر المدنية الحاضرة الخلابة، وزبارجها، بقى ثابت العقيدة، ولا تؤثر فيه العواصف، اتخذ التقوى شعاراً، والورع دثاراً، فطوبى له من رجل فذ، ينير ما حواليه، ويهدي الناس سواء السبيل.

---

(١) سورة يونس: ٣٣.

ولقد أجاد في مؤلفه هذا بعرض كل ما من شأنه اتمام الحجة ودحض الباطل ﴿**وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ**﴾.[١]

فجزاه الله عن الاسلام خيراً، ا ن الله تعالى يقول: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.[٢]

أحمد أمين

ليسانسيه في العلوم الرياضية العالية والفيزياء الرياضية العالية، وخريج دار المعلمين العالية بالاستانة.

كاظمية

٢٠/ جمادي الأول/ ١٣٦٨هـ

٢١/ ٣/ ١٩٤٩م.

---

(١) سورة غافر: ١٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٤.



المقدمة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله كلمة المعتصمين، وأعوذ بالله من متابعة الهوى ومخالفة الهدى، والاصرار على المآثم، واستصغار المعصية، واستكبار الطاعة.

والحمد لله الذي شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده، فجعله أمناً لمن عقله، وسلماً لمن دخله، ونوراً لمن استضاء به، وفهماً لمن عقل، وراحة لمن فوض، وجنة لمن صبر.

واستغفره مما أحاط به علمه، وأحصاه كتابه.

وأومن به ايماناً نفى اخلاصه الشرك، ويقينه الشك.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (صلعم) أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد:

فقد أوغلت في زوايا الأفئدة شكوك في المبادىء الدينية تقويها المعارف العصرية على وضع التعلميات الحديثة وتزينها في نظر البسطاء المفتونين فيلقونها بتقرير جديد، وتصوير غير بعيد، وما هي إلا الشبهات التي أحاطت بالانسان

الأول من بدأ بعث الرسل وجعل الشرائع، واهتم بحلها سلسلة الانبياء العظام على وجه يتلقونها من مبدأ الوحي وبيان الرب، بعد أن تمكنت تلك الشكوك في قلوب بعض الشبان والمتنورين واغتالت عقائدهم فانهالت روحيتهم السعيدة وافترع منها كل رذيلة في الاخلاق ووقيعة في الآداب.

صار التظاهر ينقض عقائد الدين ودحض نواميس الايمان نوعاً من التمدن وطوراً من الرقّي في المعارف، فخاب أمل المرشدين، وفل سيف الموحدين.

وصارت الناشئة الجديدة في صراط الرقي من الشكوك التي تنتاب العقائد الدينية وتزاحمها في تمالك القلوب.

وقد غطت المبادىء التشريعية غشاوة غليظة من توارد إنكار حملتها في هذه السنين حتى تناءت نواحيها عن نيل تصديق العقول الصقيلة التي تأبى حمل نير التعبد وكلفة تحمل الآداب التي الصقتها بالشرائع آراء قادتها بعد عصور النبوة فتحولت عن سذاجتها وسعتها، وبدلت سرورها حزناً وبياضها بدعاً.

وشتت اصولها الأولية بشروح طائلة ضيقت الحياة على أبنائها وأوقعتهم موقعاً حرجا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. ولكن في الظاهر اسم بلا مسمى، أي مسلم بلا اسلام.

وقد اختفت عن أفهام هؤلاء معاني الاسلام وعقائد الاسلام.

كأنما ظهرت لديهم بعض الاعمال والأقوال بمظهر غريب يجلهلها قسم منهم ويستهزأ بها القسم الآخر. فكأنهم يحسبونها من أساطير الأولين.

ويا الله من زمن تتهاطل فيه أمطار الشبهات في القلوب العامرة فتبيدها ونرى أجواء الأرواح فيها مظلمة بقاتم السحب السوداء تتراكم وتتكاثف وتسحب في مصاب القلوب ظلمات بعضها فوق بعض.

تغلي فيه مراجل الافكار وتتشعب فيه مناحي الاهواء وتنفث الوساوس في صدور الخلائق من كل ناحية حتى اعشتهم عن طريق الهداية وساقهم في مسلك وعر ومضيق صعب النفوذ وعقبة كأداء يتخبط فيها البصير الصابر والخبير الممارس ويرجع على عقبه القهقري فيهبط ويتساقط ويفنى ويتهالك.

وكأنا قد عدنا الى تلك العصور المظلمة التي ما كان الانسان يعرف عن الحقائق شيئاً. وكأنما لم توجد الأحكام والبينات التي جاء بها الأنبياء والرسل، أو كأنها جاءت لتذكر حوادثها كما تذكر حوادث التاريخ أو نقّص بعض القصص دون اقتران العلم بالعمل.

ولم يعد القسم الاعظم للمعرفة بها أو التطلع عليها أو درسها اي اهتمام كاهتمامهم مثلا للاستطلاع على كثير من الروايات الغرامية أو البوليسية وما اشبه ذلك من الكتب والمجلات المصورة، ويعد كل هذا من الضروريات ولكن التعقيب لمعرفة اساس وأصول عقائد دينه ليس ضرورياً.

أما إذا نشا أحدهم بمعرفة الدين وعباداته وعقائده انما نشأ نشأة التقليد ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾.[١]

(١) سورة الزخرف: ٢٢.

لا على النشأة المطلوبة في المعرفة الفردية والهداية الشخصية بصواب ما يفعله وما يسير عليه.

ان هذه الأمور وما شاكلها ألزمتني أن أدون ما جمعته من شتى الكتب والمجلات، في هذه الرسالة البسيطة مما يناسب ويلائم بهذا الأسلوب الذي أظنه سهلاً يسيراً يدركه الصغير ويفهمه الكبير.

ولعلها تهدي من أراد الرجوع الى الحق وتزيل عن الجاهل بعض الظنون والشكوك.

ولعلي قد أديت بهذا ما هو الواجب عليّ، وإن كنت قد أحسنت العمل في ذلك فأنما هو من فضل ربي وإلا فما انا إلا العاجز الضعيف الذي لا حول لي ولا قوة إلا بالله العلي القدير فمنه التوفيق واليه المرجع والمصير؟.

كربلاء

يوم الاحد

٢١/ع/١٣٦٨هـ-٢٠/ ٢/ ١٩٤٩م

محمد الحسين الأديب



المقدمة

للطبعة الثانية

الحمد لله الذي ألهم فأنطق، وابتدع فشرع، وعلا فارتفع، وقدّر فأحسن، وصوّر فأتقن، واحتج فأبلغ.

وأشكره على ما أولى وأعطى، فآلاؤه جمة يضعف اللسان عن إحصائها، وعطاياه كثيرة يقصر الفهم عن إدراكها فضلاً عن استقصائها.

فألهمني اللهم طاعتك وجنبني معصيتك، ويسر لي بلوغ ما اتمنى من إبتغاء رضوانك، واقشع عن بصري سحائب الارتياب، واكشف عن قلبي أغشية المرية والحجاب، وأزهق الباطل عن ضميري، واثبت الحق في سريرتي، فأن الشكوك والظنون لواقح الفتن، ومكدرة لصفو المنائح والمنن.

واجعل اللهم جهادي فيك، وهمي في طاعتك وما يرضيك، واخلص نياتي في معاملتك، ووفقني بقوة منك، وبتوكل عليك، نحو الغاية المثلى من خدمة الدين المبين، والشريعة الحقة في ارشاد المسلمين إلى الصراط المستقيم.

والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وآله الأوصياء المرضيين، وصحبه الطيبين الطاهرين، الذين بذلوا النفس والنفيس في سبيل نصرة الدين، فكانوا خير قدوة يهتدي بها المخلوقين.

وأما بعد: فمن دواعي سروري أن أقدم الكتاب هذا لقّراءه للمرة الثانية، بعد أن اقتضى أن أضيف عليه بعض زيادات مناسبة لنفاذ طبعته الأولى، وان كنت قد تأخرت قليلا عن موعد التقديم لانشغالي بتقديم الكتب الاخرى التي تلقوها كلها بيد التشجيع، مما كان لي خير محفز لادامة هذه الخدمات الدينية

الاجتماعية، مستمداً منه تعالى المعونـة وراجيـاً منـه أن يسـلك بنـا سـبل الوصـول اليه، ويسيرنا في أقرب الطرق للوفود عليه، ويقرب بلطفه علينا البعيـد، ويسـهل علينا بكرمه العسير الشديد.

لأنه تعالى ان أذاق أحداً حلاوة محبته فلا يروم منه بدلا، وان أنس بقربه أحـد فلن يبتغي عنـه حـولا، ولا وسـيلة الى ذلـك إلا عواطـف رأفتـه، ولا ذريعـة اليـه إلاعوارف رحمته، واتباع سنن نبيه| نبي الرحمة، ومنقذ البشرية من الغمة.

فأن هذا الكتاب وأمثاله ماهو بشيء جديد في هذا العالم الجديد إلا انه بمثابـة منظار يقرّب البعيد، ويسهل العسير على الانسان في بعض الامور التـي هـي مـن أكثرهـا ضروريـة لحياتـه، ألا وهـو الـدين، ويجعلـه أن يعـرف ذلـك كـما هـو عـين اليقين، ويعتقد بضرورة التمسك به بالادلة القاطعة والبراهين.

لانه منذ أن عرف الانسان نفسه، وأدرك حسه، وعرف جنسه، ومنذ أن جـاء الانسان من عالم النور، وسقط منه إلى عوالم الظلمـة والشرـور شـعر أنـه في أمـس الحاجة الى نظام يتمسك به، تخلصاً من الفوضى والاظطراب في أركان حياته.

وعلى هذا المنـوال مضـت الاجيـال، وتسـلت القـرون، وتعاقبـت الاحقـاب، وانطـوت الـدهور، والانسـانية تعـاني ذلـك العـذاب الواصـب والـبلاء الـدائب، والشقاء المتعاقب.

وبين هذه السنين الطويلة، وبـين فـترة واخـرى، كانـت تظهـر بعـض الانـوار الهادية، والذوات المرشدة، لقطع دابر الفساد، من بين العالم الانساني.

فكانـت الارشـادات عـلى قـدر عقـول أهـل الـزمن، وبمقـدار احتياجـاتهم وبتحمـل مـداركهم، حتـى انتهـى دور التكامـل والتطـور في الانسـانية، وبلغـت

البشرية أقصى حدود الكمال، ووصلت أبلغ مدى الرقي، واكتسبت أعلى مراتب العقل والدهاء.

ففي مثل هذه اللحظة، بزغت على العالم شمس الاسلام، وطلعت على الناس انوار الهداية المحمدية، وخرجت الى الوجود طلائع النظم الحقيقية، الملائمة لهذه البشرية في كل زمان ومكان، واخذ منادي الاسلام ينادي:

«اليوم أكملت لكم دينكم ورضيت لكم الاسلام دينا».

فكان هذا بشرى للعالم بظهور معجزات العلم. بعد ذلك مما أيّدت أن الحقيقة الآلهية واحدة لم تتغير ولن تتغير، ولكن الطبيعة البشرية وما بها من ضعف قد يقودها الى طرق الضلال والهلاك.

فجاءت العلوم الحديثة بعد ذلك مؤيداً ومصرحاً بأن الدين الاسلامي هو الدين العالمي الوحيد، لأنه يشمل العالم منذ وجد، ويمتد الى فنائه، ولا يقتصر نفعه، ولا تنحصر فائدته في حيز مكاني مخصوص، بل أنه عام شامل لكل الممالك والبلدان، ولكل جيل وعصر. وأنه ليس بالمبدأ المعيب على الفرد إن تمسك به، بل مفخرة لمن تمسك به حقاً، واعتقد به صدقا أو عمل به كاملاً.

وما أنهجه في هذا الكتاب وغيره من الكتب الدينية، أن تكون سهلة العبارة، واضحة المعاني، مطابقاً لما جاء به العلم الحديث الذي أصبح الشاغل الأهم في حياة الناس في هذا الوقت، ولاسيما الشباب الذي أخذ يزعم كل شيء سوى الحقيقة عن الاسلام، وربما تصوره سبباً لتأخره وتأخر المسلمين، لظنه ان الدين والعلم على طرفي النقيض، أو أن الدين معارض لمطالب هذه الحياة الجديدة، أو أن الدين داعية التفريق.. الخ!!

وقد غلب عن ذهن الشباب أن يعلموا أن كل هذه الفروض والمزاعم قد تصح على دين غير الاسلام لأن الاسلام دين مدني اجتماعي، يسير مع كل زمان في سبيل مدنية فاضلة تقوم على أساس حرية النفس، وحرية العقل، وحرية العلم، وتوفق بين حاجة الانسان المادية والمعنوية.

ولاشك أن الذين يرون التحول عن الاسلام الى فكرة أخرى ضرورة لابد منها، أو الى اللادينية المحضة، إنما هم مدفوعين بدافع غير طبيعي، واما لجهلهم حقيقة الاسلام الذي ثبت أنه خير الأديان والمبادىء للبشر.

ولا أظني خاطئاً لو اعتبرت القائلين بالرأي هذا من الطبقة الثانية أي لجهلهم حقيقة الاسلام، هذا الجهل الذي أفقد المسلمين مركزهم بين العالم المتمدن.

وان كان أغلب هؤلاء المعذورون بعض العذر إن جهلوا حقيقة هذا المبدأ الحق، حيث أن القسم الاعظم قد اكتسب الدين من البيت الذي يكاد في بعض الاحيان أن لا يكون له أثر الا الخرافة والتقليد الممقوت في الاسلام.

واما اكتسبه من المدرسة التي تكاد لا تعطيه إلا نظرة بسيطة جداً في الدور الابتدائي يكاد أن يكون خطراً عليه ان لم يزود بمعلومات كافية في الأدوار العليا من الدراسة.

وبجانب هذه المعلومات القليلة، بل المعدومة، يجد الشباب الركود والجمود والخمول في عالمه ومحيطه بجانب ما يلاحظه من الحركة والنشاط فيما يفعله أصحاب المبادىء والاديان الاخرى من الدعاية والتبشير باتباعهم أنواع الطرق كالكتب والصحف والنشرات المتنوعة..الخ.

وبهذا يتولد عنده الجحود والخروج، لانه لم ير غير ذلك، ولم يسمع سواه.

وقد لا يوفق الكثير منهم بعد التخرج الى الحياة العلمية للدراسة والمطالعة ليضيف على معارفه وينّميها فيبقى على نزعته الأولى من الجهل لا يتزحزح عنها قيد شعرة.

ولكن مما يشير بالخير، ان الناس كافة، والشباب خاصة، أخذ يتحسس في بعض البلدان الى ضرورة التمسك بدين ينجيه من أهوال هذه الحياة الدنيا، ولو ان بجانب هؤلاء طبقة اخرى تظن باطلاً بان داء تأخرنا عن المدنية الحديثة هو الدين، ولكي تحيا حياة استقلالية وجب ان تنسلخ وتتجرد من هذا الدين الى النظم الأوربية الحديثة المتخذة من انظمة بشرية مملوءة بالمطامع والاغراض الشخصية والداعية للفساد باسم الصلاح كالماركسية او الاشتراكية، او الفاشية، او النازية، او غيرها...الخ. ولكن مما يغلب علي الظن ان هؤلاء سيعودون من غيهم هذا الى رشدهم وصوابهم عن قريب عاجل انشاء الله.

فالى هؤلاء جمعت ما في هذا الكتاب، ولا وضح لهم اضرار اللادينية وفوائد الدين وضرورته لهم ولمجتمعهم، ولا بين ما يعترف بحقهم عظماء رجال الغرب وحكمائهم، بل مصلحيهم الحقيقين، لعلهم يعرفوا كيف ان الاسلام دعى الى الاعتدال في كل شيء، وامر بعدم الانانية، وفرض الكرم والبذل، ومعاونة الغير، وانه دين التقدم والمدنية والارتقاء.

والحياة جد، والعاقل من ينظر الى طبيعة سير الجماعات، واستغلال القوى الفاعلة، فيستفيد من توجيهها الى الخير توجيهاً لا ينبو عن تركيب مزاجها الخاص، وطبيعتها المجهولة عليها.

وعلى الانسان ان لا يتزيا تقليداً للأزياء الحديثة المستجدة بزّي فكـري اوربي، وأن يكتسب من الآخرين ما لا ينفعه بـل يضره، ولابـأس مـن اكتسـاب الامـور المفيـدة مـنهم، وان يجعـل نفسـه بعيـداً مـن تـأثير هـذه التيـارات والمـذاهب الاستغلالية، ولينجو بنفسه عـلى شـاطىء الأمـن والسـلام بالديانـة الاسـلامية، وليسلك الطريق التي تؤدي الى الاحتفاظ بشخصيتنا العالميـة، ولنكـون مسـلمين حقـاً كـما يريـد الاسـلام منـا ان نكـون، لا مجـرد ديـن عـن حقيقتـه وبعيـدين عـن ارشاده، مكتفين باسمه دون مسماه.

فمنه تعالى وحده نستمد المعونة، وعليه نتوكل، واليه نبيب.

ومنه تعالى ارجوان يبلغنا غاية رضـاه، ويعيننـا عـلى طاعتـه، ولـزوم عبادتـه، ويرحمنـا بصـدنا عـن معاصـيه مـا احيانـا، ويوفقنـا مـا ابقانـا، وان يشرح بكتابـه صدورنا، وبتلاوته وزرنا، وان يمنحنا السلامة في ديننا وانفسنا، ويـتمم احسـانه فيما بقي من عمرنا، كما احسن فيما مضى منه، وهو ولي التوفيق.

كربلاء

٢٣/ رجب/ ١٣٧٣هـ - ٢٩/ مارس/ ١٩٥٤م.

محمد حسين الاديب

الدين

ضرورته وفوائده للهيئة الأجتماعية:

الدين هو أعظم وأكبر نـاموس في حفـظ العـالم، وانفـذ وازع ورادع للنفـوس عن حرصها وجشعها إلى حب التغلب والتفوق واستيفاء الحظوظ من الشهوات الحيوانية والقوى الغضبية.

وهو الخضوع لقوة مدبرة للعالم، أزلية مدركة حكيمة عادلة.

فضـلاً عـن كونـه مـن أول الفطريـات، وأجـلى الوجـدانيات والبـديهيات. ويمكن أن نقول: بأن الدين هو الراحة الكبرى، والنعمـة العظمـى، ومـن أعظـم لوازم الانسانية، وأهم ما يجب للطباع البشـرية، وهـو سياج العمـران، وحصـن الحياة، ومعقل الأمم، ولا تطيب الحياة إلا به.

ولو أن أحداً قبض السماوات بيمنه، والأرض بشماله لما أغناه ذلك عن الدين شيئاً، وإن قبض على الدين فقد قبض على راحـة الأبـد؛ وسعادة النشـأتين، ولـو كان في أنياب الفقر، وبين لهوات البلاء.

ويستحيل بدون الدين قمع شرور البشر، وقطع بذورها من نفوسهم عامة وخاصة، إلا برهبة الدين، وتسليط سيطرته عليها، إذ إن أعظم مصلح يقوم في العالم، وأكبر مدبر ينهض لخدمة المجتمع البشري لايكون لولا الدين- الا أكبر أهوج خائر مضيع لحقوق شهواته من غير فائدة تعود إليه ولا عائدة ترجع بالعوض عليه، إذ ما الغاية في تحمل ذلك العناء، ورفض تلك اللذائذ، والصبر على شظف العيش، والرزوح تحت أغلال البلاء، مع علمه بأنه سيفنى ويذهب متلاشياً في عرصات العدم المحض والفناء المؤبد.

ولو أن جميع العاملين إلى آخر الأبد صلوا وسلموا عليه بكرة وعشياً وسبحوا وقدسوا بحمده غدواً ورواحاً لم يصل إليه من النفع ذرة وكان هذا واستبداله باللعن والذم سواء.

فهل تحمله تلك المشاق إلا الحمق والخور وضعف الرأي وسوء التدبير وعدم النظر لنفسه!!.

فأن الدين من أرأف المسّلمين، وأشفق الواعظين، وأبلغ المعزّين لهذا الإنسان البائس، المحفوفة حياته بكل عناء، وشقاء ومصيبة وبلاء، مهما ساعدته العناية، وتمهدت له الأسباب، وتربع على عرش الملك فضلاً على البائسين والمساكين الذين يرزحون تحت مجهدات الفقر والفاقة والبؤس والمسكنة.

ان الدين سلوة، لولا حسن عزائه، وطلب النفس بحسن الثقة به وان الاستلام له داعية كل فضلية، لكان جديراً بالانسان، وحرياً به من أوائل عمره، لأن كل انسان لو عمل الاحصائيات المدققة، وقاس ما يناله في هذه الدنيا من

التعب والمصائب والأخطار الماضية والمستقبلية، لما يحضى به من النعيم واللذة والهناء والراحة، لوجد هاتيك إلى هذه اضعافاً مضافة الاعداد نسبة الملايين إلى الآحاد!!.

وأي عاقل يا ترى!! يرضى لنفسه بهذه الخطة، ويختار التواطي لهذه المنزلة!!.

وما ألم الموت إلا لحظة، تمر عليه أمثالها في بعاء الحياة. أما بارقة الأمل والرجاء، فقد أوشكت أن تظهر خلابتها للعيون، ويبدو جهام غيمها للنفوس وتنقشع غشاوتها عن الابصار.

هل من ملك لا يأسف على الماضي من عمره؟ ولا يبكي على فقد شبابه وريعان صباه؟.

فما ذا يا ترى!! ستكون حالة العامة من الرعايا؟.

وكم ذكر لنا التاريخ من رجال بلغوا من العظمة والملك أن سجد الناس أمامهم وعبدوهم دون خالقهم. فما كان مصيرهم؟.

ألم يدسوا في حفائر الأرض، كما تدس الجيف والأقذار؟.

ألم يستنزلوا عن مشرفات القصور إلى مظلمات القبور؟ وطاشت بهم اهواء الفخفخة، والرفعة الخادعة، ثم أهوت بهم كما تهوى الزوابع بعاليات الشجر إلى وهدة الحضيض.

أما لولا العناية الآلهية تلطف بالعباد، وتوله أفكارهم بالشواغل المادية عن التوغل والامعان في هذه الخواطر الراهنة، لتركوا عمارة الدين وسكنوا مغارات الجبال، ولعّجلوا عجيج الوحوش في الفلوات، ولأنقطع النسل، وبطل العمل،

وعادت الأرض إلى شكلها الأول.

فمن المسَّكن للوعة هذا الإنسان؟.

ومن الذي يبرد غلته؟.

وكيف يكف من غرب جماحه، وهيجان أشجانه، وجزعه من كل الحياة ولذائذها، والدنيا ونعيمها؟!.

تلك اللذائذ التي ما من واحد منها إلا وهي محفوفة بالمكاره والعناء والكدر والبلاء!!.

أم كيف يهدأ هذا الإنسان، والحوادث والصروف كل آن تهدده بكل خطر وكل رزية، وهو لا يعرف بأي حجر يرمى؟ وبأي عثرة يعثر؟ وفي أي بقعة يموت؟ وأين يقبر؟.

فان المهدّئ لكل هذه اللوعات، والمسّكن لهذه الخطوب، والمعقل الحصين لتلك المحرمات والغرور، والمؤمل المشجع له على الصبر ومكافحة الحياة، والعمل فيها ما هو إلا الدين، وليس سواه وهو الذي أمر الناس:

«أن أعملوا لدنياكم كأنكم تعيشون أبداً، واعملوا لآخرتكم كأنكم تموتون غدا».

فهذا هو الدين، وهو ذلك النظام الاجتماعي العام الذي أنقذ في جميع أدواره، وفي زمن جميع أنبيائه ورسله ومبشريه الانسان من حالة الحيونه والتوحش إلى حالة الانسانية البشرية، ومن محط الجهل إلى شاطىء العلم والمعارف وأخذ في كل حين وآخر يجدّد لباس المدنية، فينزع القديم ويلبس

الجديد، وفي كل انقلاب أوجد لنفسه روحية جديدة في ترك العادات القبيحة السالفة، وأخذ يعيش في عاداته وأساليبه الحاضرة، وظن بنفسه ملة حية، وقوماً كاملة الصفات، لأن من مقتضيات وجود الدين والتربية في كل قوم هي إيجاد روح جديد في هيكلهم الاجتماعي وتبديل افكارهم، وتطهير قلوبهم، وتوسيع أدمغتهم، حتى يزيل عنهم كل قديم سقيم، ويقوّم فيهم الآداب والمدّنية الجديدة.

فالتدين بالدين إذاً من ضروريات الإنسان، ومن صفاته التي لا تنفك عنه، إذ لا يمكن له بدونه الحياة بالرفاه والعيش بالسلام والطمأنينة والراحة.

لأن البشر مخلوق غرز في طبعه أن يعيش مع بني نوعه فيعمل كل فرد (على قاعدة توزيع العمل) ما يحتاج إليه هو وسائر أفراد البشر في حياته وحفظ نوعه.

ولما كانت أفراد البشر متفاوته في العزم والهمة والغباوة والفهم والعلم والتفكر والغنى والفقر والضعف والقوة، وفيهم من يرى اللذة في التجاوز على أخيه، والسعادة في سلب ماله، والتمتع بنعمته، فأذا تجاوز هذا على ذاك اختل النظام، وضاعت الحقوقن وقضت القوة على الضعف.

وبما أن العقل غير كافل لحفظ النظام واقامة العدل وان كان سبب السعادة ومنبع الفضيلة ،لأنا نرى كثيراًمن العقلاء يسارعون الى ارتكاب المنكرات والرذائل التي تستقبحها العقل اتياعاًلشهواتهم ،وتطلباً لرغباتهم ،كما ان ارشاد العاقل امته ،ونصحه لهم لا يؤثر في تحسين حالهم وان أقام لهم من الأدلة العقلية على قبح ما يفعلون الف دليل .

بل كم رأينا في صفحات التاريخ ما قاساه العقلاء من اممهم وما لاقوه جزاء ارشادهم من قتل ونفي وتعذيب، لذلك كان من الأمور المسلمة ان الشارع للاحكام الموجبة لحفظ نظام هذا النوع، والمؤمنة لحقوق افرادهم يجب أن يكون ذاتاً تنقاد النفوس لارادته، وتذعن القلوب قبل الإجسام لأوامره بسبب امتيازه على بني نوعه بصفاته العالية، وتأييده بما يملك النفوس من الآيات الباهرة، فتصبح العقول محاطة بها لا مخلص لها من الاذعان له.

ذلك هو الذي يأتي مبلغاً الله أحكاماً وأوامر، وهو ما يقال له (الرسول) وتلك الأحكام والأوامر التي يقصد منها ارشاد البشر إلى معرفة الله تعالى وعبادته، وإلى اتصافهم بالصفات الفاضلة والاخلاق الكاملة.

كالصدق، العدل، والوفاء، والعفة، والحلم، والصبر، إلى غير ذلك من الصفات التي يحكم العقل بحسنها، وعلو المتصف بها والتي يقال لها (الدين) فاذا عرف الإنسان الخالق عز وجل حق المعرفة وعظمه، وقف عند الحدود التي حدها له.

فلا يظلم أحداً ولا يتجاوز على حق أحد ولا يرتكب ذنباً من الذنوب التي يعد فعلها جسارة على الله تعالى بتعدي حدوده وانتهاك حرماته.

واذا تهذبت نفس الانسان، حتى بلغ الكمال، وتقومت اخلاقه، احترمه الناس واستمعوا لقوله ولا يخفى ما في ذلك من التضامن واتحاد الكلمة.

وإذا اضفنا إلى ذلك ما يأمر به الدين، من اقامة العدل، وعدم التجاوز مع الأمر بإتحاد الكلمة وعدم الشقاق والتنابذ ومحو الحقد والحسد نعلم مقدار ما

يحصل بسبب ذلك من التآلف والتودد اللذين بهما تنتظم أحوال الناس ويكمل هناؤهم، وما أحسن قول الشاعر حيث يقول:

لعمرك ما الأديان إلا سعادة وما الناس لو لا الدين إلا بهائم

الدين وأهداف الحياة

للانسانية في معترك هذه الحياة أهداف ثلاثة، هي: الحق، والخير، والجمال، وكل واحدة منها ضروري ما دمنا نريد السعادة وننشد الكمال. والذي يكون الإنسان انساناً.

ولقد مضى على الانسان قرون كان فيها فريسة الجهل، يعبد الشمس والقمر والنجوم، بل يعبد الاحجار والأشجار والحيوان، ولا يتمتع بلذة المعرفة، وادراك الحقائق، ولا تتصل روحه، ولا يسمو عقله إلى خالق هذا الكون العجيب، ولا تفكيره إلا إلى ما بين يديه كأنه واحد من هذه الحيوانات التي تعج بها الأرض لا يمتاز عنها كثيراً.

وكان الإنسان أيضاً فريسة هينة مستسملة لعوامل الشر والفساد التي تتمثل في ضعفه وعجزه، وتتمثل في تسخير الأقوياء للضعفاء، وتتمثل في ظلم الرعاة، وتتمثل في البهيمة الحمقاء التي لا تعرف حدوداً، ولا تهدف إلى غرض، وتتمثل في الانحلال والتخبط والارتجال في كل ناحية من نواحي الحياة.

وكان الإنسان محروماً من إدراكه الجمال، والتمتع بلذاته، فالقانون قانون القوة، كما هو الشأن بين وحوش الغاب، وليس للاخلاق موازين ولا للفضائل مقاييس، ولا للشرف قيمة، ولا للحياة مثل تحتذي أوتراد.

وما لهذا خلق الإنسان، ولا بهذا استحق خلافة الله في الأرض، ولا لهذا استحق بنو آدم على سائر ما خلق الله، فلم يكن من بد من (هداية السماء) تكفله وتهذبه، وتقرب له السبيل، وترسم له الصراط المستقيم، وتخرجه من الظلمات إلى النور، وبذلك كانت الرسالات الآلهية التي تطورت وتركزت وكملت وانتهت إلى رسالة محمدﷺ وختمت بها كآخر قانون سماوي ضمن له الحفظ والبقاء، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، لا لمجرد أن ذلك هو ما قضت به الإرادة الآلهية، ولكن لأنه القانون الذي أتى وفقاً للطبيعة، وزود من المبادىء بما يجعله صالحاً لك زمان ومكان، وبما يجعله قابلاً لكل خير وصلاح تجود به العقول، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين!.

ترى ماذا كان يتطور إليه الإنسان لو لم يمد بهداية السماء!. لاشك أنه سيعرض بعض صور الواقع الصحيح، وبعض نواحي الخير، ويدرك بعض أسرار الجمال، ولكن إلى أي حد؟.وبعد كم من القرون والدهور؟

إن الهداية الآلهية قد عجلت بتهذيب الإنسان وتطهيره، وان المبادىء التي شتملت عليها شرائع عامة، كانت بمثابة بذور غرست فأنبتت، وما زالت تنبت وتؤثر في الغذاء الفكري للإنسان تأثيراً عميقاً، سواء أحسن الإنسان بذلك، أم لم يحسن. قد يظن الإنسان أنه وصل إلى ما وصل إليه من الرقي بعقله، وان لم تكن الأديان لكل العقل ديناً وهادياً، ولكن ما هي مقاييس العقل؟

وهل كان العقل (إذا لم يلقح بهذه اللقحات اليساوية) يمضي قدماً في الطريق المستقيم؟ لا يضل ولا يشقى؟. كلا ثم كلا!!.

ألا ترى الامم البدائية أو المنعزلة؟ تقيم الدهور في عزلتها، وهي ما هي عليه في أفكارها وعاداتها وتقاليدها؟ ونظرها إلى الأشياء، وإدراكها للمعاني دون أن تتطور؟

ودون أن تثبت فيها نابتة من عقله، أو أثارة من علم؟ إلا أذا جاءها ذلك من خارجها، كأن يتصل بها قوم آخرون، أو يرحل عنها بعض أبنائها ثم يعود إليها، أو نحو ذلك، ويومئذ تبدأ في تفكير جديد وتنظر إلى ماهي فيه، فتعرضه على العقل وتناقشه، وتختلف فيه خلافاً شديداً وينتهي أمرها بأن تأخذ منه، وتدع وتعدل فيه وتقوم، فربما تطورت وتطور التفكير العقلي فيها، وتطورت أساليب حياتها على نحو جديد وما ذلك إلا أن اللقاح فعل فعله وأثر آثاره، وإن لم يدرك الإنسان في أثناء هذا التفاعل انه حاصل واقع، ماض في سبيله، موف على غايته!.

هكذا تقاس الحالة البشرية عامة، ولو لم تمد بهداية السماء، أنها تكون في غاية الجهل، ولو أنها تتحرر من هذا الجهل شيئاً بعد شيء، عن طريق الصدفة، أو التفكير العقلي، فان ذلك يحتاج إلى احقاب، وربما انقضى عمر الإنسان على هذه الأرض دون أن يصل إلى الغاية الحميدة التي أرادها الله؟.

ولنتأمل الآية الكريمة: **﴿هَلْ أَتى عَلَى الإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً*إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً*إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾**.[1]

(١) سورة الانسان: ١-٣.

فهي تشير إلى الحقب المتطاولة التي مرّت بالإنسان وهو في طور الخمول، وغمرة الجهالة، حتى جاز أن توصف بهذا الوصف البليغ، فينفى عنه أنه شيء في هذا الوجود يستحق الذكر!.

والإنسان هو عماد هذه الأرض، وهو خليفة الله فيها، وهو أكرم من فيها على الله، فاذا وصف من هذا شأنه، بأنه لم يكن شيئاً مذكوراً، فلا بد أن يكون هذا الوصف تعبيراً عن حالة من الخمول، والضعف والتفاهة.

ثم نذكر الآية بعد ذلك خلق الانسان وأصله، والغاية من هذا الخلق، وما ركب فيه من استعداد فطري له أدوات ظاهرة من الحواس كالسمع والبصر، وتردف الآية ذلك بنعمة الله عليه في الهداية إلى السبيل والإرشاد إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، وبذر بذور المعرفة والعلم في محيطه، ينتفع بها من ينتفع، ويزور عنها من يزّور، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة ﴿**إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾.[1] ذلك بأنه لا يوصف بالشكر، ولا بالكفران إلا من علم.

من هنا أن يعترف الإنسان، وأن يكون خاشعاً في هذا الاعتراف بالهداية الآلهية كما هو خاضع خاشع في اعترافه بالخلق والتكوين ويجب أن لا يغره عقله، ولا تسّول له علومه ومعارفه أمراً، مهما بلغ منها، فيتردد بالاعتراف بأنه محدود، وبأنه موضع فضل إلهي، وفيض رباني، بهما قوامه، وبهما عقله، وبهما سمّوه عن كل ما خلق الله في هذا الوجود، ولولاهما ما كان، ولولاهما ما صار شيئاً مذكوراً!!.

---

(١) سورة الانسان: ٣.

ومما لا ريب فيه بأن العقول تتفاوت وتتضارب، ويرى بعضها الشيء حسناً، بينما يراه الآخر قبيحاً، وهذه القضية يثبتها الواقع، ولا يجادل فيها متصل بالحياة.

وأنما كان ذلك لاختلاف أسباب العلم، واختلاف وسائل العلم، واختلاف الأمزجة، والأهواء، والبيّنات، والعصبيات، والجنسيات، وميل الإنسان بطبيعته إلى الإعتزاز بنفسه، والاعتداد برأيه وتنفيذ فكرته وفرضها على من سواه فرضاً لا يخضع للمنطق، ولا للعقل، ولكن يعتمد على السلطان والنفوذ والقوة الذاتية.

فأذا ترك الناس يشرعون لأنفسهم، ويضعون المثل لتفكيرهم وثقافتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم، فإنهم لاشك متأثرون بما أوضحنا من عوامل الشهوة والمزاج والبيئة والسلطان.

ولا يستطيعون أن يتحرروا منها مهما بلغوا من العلم والحضارة، لأنها طبيعته تتغلب على كل ما سواها. وإن استترت فأنما تستتر في الظاهر، وهي تعمل عملها في الخفاء ملحة مثابرة، لا يثنيها شيء من الأشياء.

ومن هنا رأينا الأمم الحديثة يعتنق كل منها فكرة، ويجعلها مذهباً له في الحياة.

ويحاول حمل الناس عليها تارةً بالقوة وتارةً بالدعاية.

فهذه نازية، وهذه فاشية، وهذه اشتراكية، وهذه شيوعية، وهذه ديمقراطية، وهكذا.

وكل هذه أوضاع إنسانية متأثرة بما يتأثر به الإنسان عادة، وليس أصحابها وواضعوها من الملائكة القمرّبين، ولا من القديسين المنزهين عن الأغراض والنزاعات، ولذلك اختلفت، وتعاركوا عليها واحتاجوا إلى القوّة في حمايتها، فلما تخلت القوة عن بعضها انهار وأصبح في عداد الذكريات التاريخية، ولو كان حقاً وخيراً لبقى وصار الجميع إليه متفاهمين.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾.[١]

فأين هذه النظم من نظم الآله السميع العليم، المنزّه عن النواقص والأخطاء، الذي ينظر إلى عباده جميعاً نظرة العدل والرحمة والسماواة؟.

وبعد هذا فقد وضح من كل ما ذكرنا بأن العقل وحده غير كاف (حتى في عهود الحضارة والرقي والفكري) للأخذ بيد الإنسانية وتحقيق أهدافها من (الحق. والخير. والجمال) وأنه لا بد من الهداية الآلهية لتوسيع آفاق هذا العقل، والكفالة استقامته، وضبط تفكيره، والحد من طغيانه.

---

(١) سورة الرعد: ١٧.

الدين والعلم في القرن الأخير

اعتبر العلم أول نشوئه منافساً للدين، ثم ما لبث أن تطور التنافس بينهما، إلى أن تخاصم بسبب اختلاف وجهتيهما في الظاهر.

ولقد سار كل منهما على طريقه، عاملاً على هدم منافسه، وتجاوزت المخاصمة بينهما في آخر أدوارها حدود الكلام، إلى الأخذ بالنواصي والأقدام.

وكان رجال العلم في هذا الدور في أوربا هدفاً لأقسى ضروب الاضطهاد، ولم ينقذهم من الفناء إلا نشوء انقسام ديني خطير كانت نتيجته في القرن السادس عشر حدوث عهد جديد من حرية البحث والتفكير، خطا العلم بعدها خطوات سريعة في سبيل استكشاف مجهولات.

وإظهار مخترعات وجهت الأنظار إليه، وجعلت المعّول في ترقية الانسانية عليه.

ظل العلم من الناحية الاعتقادية عدواً للدين، رامياً إلى محو أثره من النفسية البشرية. لاعتباره إياه عاملاً انقضى وقته، وبطلت الحاجة إليه، وما ليس إليه حاجة مادية أو أودية، كان وجوده معطلاً للآخذين به من التأدي إلى الكمال المنشود.

ولكن في القرن التاسع عشر، هذا الذي نال العلم فيه أقصى مناه من الدين، إذ ظهرت آراء علمية قضت بها الضرورة، كان لها أثر فعاّل في إعادة سلطان الدين إليه، منها الحاجة الملحة إلى إفتراض وجود عنصر أولي لطيف إلى أقصى حد، مالىء للكون كله دعوة الأثير، لا يخلو منه حيز في الأرض، ولا في السماء، وأنه كان موجوداً من أزل الآزال، وسيبقى موجوداً أبد الآباد، وأنه أصل المادة، منه نشأت وإليه تعود. وغلا الاستاذ (هيكل) المدرس بجامعة (بينا) من المانيا فكتب في كتابه وحدة الوجود (المونيسم) يقول:

«نعم، أن نظرية الأثير غذا أخذت كقاعدة للإيمان يمكنها أن تعطينا شكلاً معقولاً للدين، وذلك إذا جعلنا إزاء تلك الكتلة الجامدة الثقيلة، وهي المادة، ذلك الأثير الموجود في كل مكان الذي يمكن اعتباره إلهاً خالقاً».ثم أيد رأيه هذا الأستاذ (شلينسنجر) الالماني قائلاً:

«أن أحقر مظهر من مظاهر الطبيعة غير الآلهية، وأكبر مجلي من مجالي الحياة الآلية، يمكن أن يعلل وجودهما بفعل قوى طبيعية واحدة، وبما أنهما من جهة أخرى يشتركان في الصدور من الأصل الأصيل المتوحد الذي يملأ الوجود اللانهائي وهو الأثير، فيمكن اعتبار هذا الأثير آلهاً ويكون نتيجة ذلك الحكم أن الاعتقاد بالخالق يتفق والعلوم الطبيعية».

إلى هذا الحد وصل اعتداد الطبيعين بالأثير، وهو عنصر افتراضي اضطر الطبيعيون إليه، لأنه لا يمكن تعليل كثير من ظواهر الطبيعة بدون افتراض وجوده، فهل بقى لهم وجه للاعتراض على الدينيين في القول بوجوب وجود

قدرة عليا أوجدت الوجود كله، ومتته بالقوى والنواميس الضرورية، لبنائه على ما هو عليه من تنوع موجوداته، وتباين كائناته؟

والحق أنه ريح للدين من العلم، أعاد إليه ما سلبه منه من الاحترام في نظر اتباعه، فكان هذا جزاء للعلم من جنس العمل على نحو لا يمكن اخفاؤه، فيجب أن يفطن له الذين يهيمنون على العقائد.

وفي العالم تدور بحوث منذ أكثر من مائة وخمسين سنة، موضوعها النفس الانسانية، كان في مقدمتها ما دعاه مكتشفه الدكتور (مسمو الألماني حوالي سنة ١٧٧٠م) بالتنويم المغناطيسي، وقد ثبت بتجارب العلماء فيه من خصائص الروح الإنسانية ما كاد لا يصدق لو لا أنه شوهد مشاهدة علميه لا تدع عذراً لمستريب.

ثبت منه أن الإنسان متى وقع في ذلك الضرب من النوم، ظهر له عقل أرقى من عقله، وذاكرة لا يفلت منها ما كبر أو صغر من حوادثه فيدرك ما يراد منه ادراكه بذاته، لا بأية آلة من آلاته، وتظهر له من الخواص ما يفوق ذلك، خصائص روحية لا جدال فيها، وهي مع ذلك تجريبية محسوسة.

وقد سلك العلماء سبيلاً آخر للوقف على ما تجهله من خصائص النفس منذ قرن واحد وصلوا منها إلى غايات بعيدة، ومكتشفات مدهشة.

كل هذا ربح للدين من العلم في مدى المائة وخمسين سنة الأخيرة، وهي تكفي لدحض كل فلسفة مادية، واكتساب حجة الدين قوة تجعلها فوق متناول الشكوك.

أليس من العجيب بعد هذا أن رجال الدين لا يأبهون لهذه الأسلحة العالمية!؟.

ألا فليتحققوا أن العصر الذي نعيش فيه هو عصر العلم، وأن أي مدرك من المدركات لا يمكن أن يأبه به أحد ممن يعتد بهم، إلا إذا جاءه من طريق العلم، فلا تجعلن بيننا وبينه حجاباً، وأن لفي هذه العلوم الحديثة وما وصلت إليه من التطور دروساً تجتذب بها القلوب إلى حظيرة الحقائق الآلهية الخالدة، بما تقرر فيه من المكتشفات الباهرة، وبراهيناً قاطعة للأنسانية والبشرية، وعدم انفكاكها من الهداية السماوية، فمن الظاهر البديهي أن الدين والعلم توئمان لا يفترقان ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾.[1] وان المتتبع للتاريخ بامعان وبصيرة، ليجد ما كان من شأ ن الدين الاسلامي وقر آنه الكريم ازاء العلوم.

فقد كان من موسوعاتها العلوم العقلية من الرياضيات والطبيعيات وما وراء الطبيعة.

فالدين هو الذي قام بالدعوة إليها، والترغيب في البحث عن دقائقها وأسرارها، وببركته وجد بين المؤمنين آلاف العلماء من أمثال: «الكندي، والخوارزمي، ويحي بن أبي منصور، والجواهري، والفرغاني، والبلخي، والطوسي، وابن سينا، والفارابي، وابن رشد» وأشباه هؤلاء من فطاحل العلوم الرياضية والطبيعية والاثقال وغيرها.

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٩.

فموقف الدين بقرآنه الكريم تجاه العلم في العصر الحديث هو عين موقفه ازاء العلم في القرون الوسطى، إلى عهد التجديد الغربي، فهو كما كان قبلاً لا يفتأ، يدعو العقل إلى التفكير، والابصار إلى الإعتبار، والأذان إلى الاستماع.

ثم لا ينفك يستدرج الناس إلى التحسس من أسرار الكائنات، ويحفزهم إلى الكشف عن غوامضها، والتنقيب عن دقائقها.

فالكل بحكم التعاليم الدينية الخالدة، يفقهون انهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً، وان الله تعالى يخلق ما لا يعلمون، وان الكائنات خلقت مما يعلمون ومما لا يعلمون، وانه ليس للعلم صورة خاصة، ولا حدود حاضرة.

كذلك يجد المؤمن نفسه بحكم آيات القرآن الحكيمة منهياً عن التقليد في عقائده، واتباع الظن في أحاكمه، والميل مع الأهواء في تصرفاته.

ومما يجده المسلم في كثير من تعاليمه ما ترشده إلى مواطن التفكير والبحث، ويعرفه ما يتطلب الوصول إليه من أسرار العالم، ودقائق حقائقه، ولنضرب الآن مثلاً مما جمعه بعض الأساتذة تأييداً لأقوالنا هذه واثباتاً لما بين الدين والعلم من علاقة وثيقة، وترابط هام:

(١) ففي القرآن: ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ**﴾.[(١)]

﴿**سُبْحانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْواجَ كُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ**﴾.[(٢)]

---

(١) سورة الذاريات: ٤٩.

(٢) سورة يس: ٣٦.

فقد أثبت العلم الحديث بأن جميع أصول الكائنات تكون من زوجين إثنين، وسمي أحدهما (الكترون) ودعى الآخر (بروتون).

(٢) في القرآن: ﴿وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.[(١)]

وقد جاء في العلم الحديث أن: ثمانين بالمائة أو أكثر أو أقل بقليل من هذه النسبة أحياناً من جميع الاجسام الحية، سواء كانت من الحيوانات، أو النباتات، فهو من الماء، وذلك بعد الاستعانة بآلاتها الحديثة ومخترعاتها الجديدة.

(٣) في القرآن: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ﴾.[(٢)]

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾.[(٣)]

فجاء العلم الحديث مثبتاً آخر نظرياته باستعانة مجاهره، وارصدته القوية بأن هناك عوالم متعددة، ذات سماوات وأرضين، فأثبتوا بمشاهداتهم العينية الصادقة أن السيارات جميعها أراض كأرضنا، وقد يكون بها ما بأرضنا من الجبال، والوهاد، والماء، والهواء، والخلائق، والعمران الخ

ومن أصرح آيات القرآن الكريم التي تؤيدها هذه النظريات العلمية الحديثة قوله تعالى:

﴿وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ﴾.[(٤)]

---

(١) سورة الانبياء: ٣٠.

(٢) سورة الفاتحة: ٢.

(٣) سورة الطلاق: ١٢.

(٤) سورة الشورى: ٢٩.

(٤): في القرآن: ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾.[(١)]

﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ**﴾.[(٢)]

فجاء العلم الحديث مكتشفاً لصحة هذا القول الكريم قبل قرون عديدة، بأن السيارات هي التي تدور في مدارات وهمية، وليست كما يقول القدماء من الفلاسفة أنها ثابتة في أفلاك دائرة بها.

(٥): في القرآن: ﴿**وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً**﴾.[(٣)]

﴿**وَجَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً**﴾.[(٤)]

فقد أيد العلم الحديث هذا القول الكريم بأن الشمس جسم مشتعل تنبت النار والنور من ذاتها وترسلهما إلى سياراتها المرتبطة بها.

(٦): في القرآن: ﴿**ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ**﴾.[(٥)]

وقد أثبت العلم الجديد هذا المضمون بأنا معاشر الناس عائشون في قعر اقيانوس سيال عمقه على الأقل مائة مثل لعمق اقيانوس الماء العامر للكرة الأرضية.

---

(١) سورة الانبياء: ٣٣.

(٢) سورة المؤمنون: ١٧.

(٣) سورة نوح: ١٦.

(٤) سورة النبأ: ١٣.

(٥) سورة فصلت: ١١.

ولقد رويت بهذا المعنى أحاديث كثيرة، وفيها تسمى تلك الطبيعية البخارية، أو الغازية بالبحر المكفوف، أي الذي لا يهبط ولا يسقط لأنه في حالة بخارية.

وأظن فيما روي على سبيل الاجمال، ومراعاة لقصر المقال الكفاية، ومع ذلك فلنذكر فيما يلي طرفاً من الآيات القرآنية في هذا المضمار تاركين للقارىء الكريم التفكر والتمحص في معانيها، وما وردت من التأييدات لها في مكتشفات العلوم الحديثه-:

١-: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾.[١]

٢-: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ﴾.[٢]

٣-: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ﴾.[٣]

٤-: ﴿بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.[٤]

٥-: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ﴾.[٥]

٦-: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.[٦]

٧-: ﴿فَإِنَّها لا تَعْمَى الأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.[٧]

---

(١) سورة طه: ١١٤.
(٢) سورة القصص: ٥٥.
(٣) سورة العنكبوت: ٤٣.
(٤) سورة العنكبوت: ٤٩.
(٥) سورة الدخان: ٣٢.
(٦) سورة البقرة: ١٥١.
(٧) سورة الحج: ٤٦.

٨-: ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.[١]

٩-: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.[٢]

١٠-: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ وَأَنْهاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.[٣]

---

(١) سورة فصلت: ٥٣.

(٢) سورة النحل: ٤٣.

(٣) سورة الرعد: ٣-٤.

موقف الدين من المدنية

لقد نتج من تقدم العلم إنقلاب خطير في الأوضاع والمرافق، فقد غزا جميع نواحي الحياة صغيرها وكبيرها، جسيمها وتافهها.

وأصبحنا لا نعيش إلا في أجواء من العلم، ولا نيسر إلا على طريقة تحيط بنا الا كتشافات، وتكتفنا الاختراعات، فآثار العلم بادية في كل مكان، وأصوله متغلغله فيما جل من الشئون وما هان.

لو نظرنا إلى ما أخرجه العلم من معجزات في عالم الصناعة والآلات نجد أن العلماء استغلوا الطبيعة، والكيمياء، والهندسة، وما إليها، فأتوا بالكهرباء، وأوجدوا منها المحركات، والقاطرات، والطائرات، والآلات التي أخذت تعمل ما يعمله الانسان بيديه وما لا يستطيع، ولكن بقوة وعزيمة ودّقة قاربت حدود الكمال.

ثم أتوا بالأمواج اللاسلكية، وجعلوها رهن إرادتهم، فاذا بالمستحيل الظاهري ممكن، بل واقع. وإذا الانسان يملأ بها الجواء، تحمل له الانباء والاخبار والصور.

واتجه العلماء إلى الإنسان وجسده، فتمكن العلم من كشف بعض أسرار الحياة، وقواعد الصحة، وأسباب الامراض، ووسائل العلاج، فتفنن في صنع العقاقير، والأدوية، والأمصال، واللقاحات، واستخرج من العفن البنسيلين، والفيتيلسين، فأتى بالعجب من فتك الجراثيم والامراض، وابادة آثارها، وما تتحفه من آفات.

ولم يقف الغرب عند هذه الحدود، بل أقام الزراعة، والفلاحة، والاقتصاد، والتجارة، والسياسة، على أساس من العلم، فدانت هذه لمآربه وغاياته، ونجم عن ذلك تقدم مادي لم يخطر على بال إنسان!!.

وجاء بعد ذلك إلى الشرق، فدرسه وخبر أحواله، ورأى أن من حقه استغلاله، فأذا الشعوب كالحديد والنحاس، تستغل لحساب الأمم ذات القوة والبأس، وتسخر لمصالحها وغاياتها، ذلك: لأن الغرب سار على مقتضى العلم، يستخدمه في الحياة والعمران، بينما الشرق بقي بعيداً، فلم يسر في حياته وفق العلم.

ولم يدرك بعد، أن العلم هو الذي يدفع الامم دفعاً في مضمار التقدم، وأن لا حياة لأمة تعيش بعيدة عن العلم وآثاره، ولا كيان لشعب لا يؤسس حياته على العلم، فهو مفتاح النهوض، وهو رأس الرقيّ والارتقاء في معارج الجد والخلود.

هذا هو طابع المدّنية الحديثة (طابع العلم) الذي دخل في صميم الحياة، وانبّثت حقائقه في شؤنها العلمية منها وغير العملية.

هذا هو الوجه الحسن في المدّنية الحديثة، والجانب اللامع منها، ولكن... هناك ناحية ضعف أدت إلى ما نراه فيها من إفلاس، ومن عدم ملأمتها للحياة الهادئة القائمة على قواعد الخلق والروح والفضائل.

لقد استغل العلماء العلم بعيداً عن قوى الروح والقلب. فأعلموا من شأن العقل والعلم علواً كبيراً، وحكموا العقل في القلب كما حكموا العلم في الدين، فنتج عن ذلك ما تراه من فوضى خلقية، وحروب طاحنة رهيبة فاستأسرت الغرائز، واسرفت المطامع، فاذا آلة العلم تتجه نحو التدمير، والتخريب، والفتك، والتقتيل، حتى أصبحت القوة مقياس تقدم الأمة وعظمتها، ولو تدخل القلب، واتجهت آلة العلم نحو البناء والاثمار والخير والكمال لسمت المدنية، وارتفع شأن الإنسانية، ولسار العلم في خدمة الحياة وإعلاء مقامها.

ومن هنا يظهر أن الأمم لا تصلح بالعلم بقدر ما تصلح بالقلب والاخلاق، وان التقدم الذي وصل إليه الإنسان (وقد توافرت فيه أسباب الرفاهة والرخاء) ولم ينج الإنسانية من المصائب المحيطة بها ولا من الأهوال التي تنصب عليها.

هل قضى هذا التقدم على المشاكل العديدة التي يعانيها المجتمع والواقع ان المدنية الحديثة قد زادت المشاكل تعقيداً والتواءاً، كما سلبت العالم راحة البال، وطمأنينة النفس، ذلك: لأن حكمة الانسان قصرت عن تثقيف الرغبات والنوازع الإنسانية، غير حاسبة حساباً للخلق العالي ومعاني الحق: والواجب، والمثل العليا.

والذي يخشاه كبار الفلاسفة، أن الحكمة البشرية إذا أفلست النهوض بعبأ ادماج العلم في أغراض الروح والخلق، واستمرت هذه القوى في اتجاهها نحو التدمير، وهددت ما بقى من معالم الحضارة وآثار الفكر والعقل.

وعندئذ يسكن العلم المصنع، ويطغى العلم على القلب، والماديات على المعنويات، فتبقى الحضارة على مشاكلها، والناس في قلقهم، والأفكار في إضطرابها، وتتضاعف متاعب الإنسان، وتزيد تعقيداً، فلا يخرج من فوضى إلا ويجابه فوضى أشد وأنكى، فلا راحة ولا أمان، ولا سلام ولا إطمئنان!!.

وعليه، فالعلم وحده لا يكفي لوضع حدّ لشرور العالم وآثامه! والعلم وحده لا يكفي للخلاص من الصعاب المحيطة به من كل جانب، يجب أن يقوم العلم على عناصر روحية ومعنوية تعلى من شأن المثل العليا، والأخلاق الفاضلة، كما يجب أن تقوم المدنية على المعنويات، وتوفق بين العلم والروح كما تلائم بين العقل والقلب، والحياة لا تكون آمنة يسودها رحمة وسلام إذا طغى العلم على الأرواح والأوضاع، بل أن لا تكون نامية رائعة إذا لم تسر على وحي القلوب، ولن يستطيع الإنسان أن يرد من الحياة الآثام والشرور والمفاسد إذا حكم العلم وحده منصرفاً عن معاني الخير والجمال.

ولا يصفو العيش في جوّ مادّي تفرغ فيه القلوب، وتملأ الجيوب والأعصاب لا تهدأ وهي عرضة للنزعات التي تذكيها المادية! وهل للحياة قيمة؟ أولها روعة إذا بعدت عن المعنويات، وهزأت بالروحيات؟.

وقد وضع العلم في أيدينا قوة عظيمة إذا لم نحطها بسياج من الخلق والروح انقلب إلى قوة هدامة مدمرة، وعلى المعاهد والمفكرين أن يعملوا على حفظ هذه القوة ضمن هذا السياج، لتجني منها الإنسانية قوى الخير والبناء والاثمار.

وعلى المفكرين والمعاهد أن يحاولوا المساهمة في هذا السبيل، ويسيروا بجهودهم في طريق ادماج العلم في أغراض الروح العليا، حتى يعرف النشأ كيف يعيشون، وكيف يقومون بواجبهم، ويؤدون رسالاتهم بنفحات روحية، وعلى أساس من الخلق متين.

ويجب أن لا يغتر النشأ بهذه المدنية، وأن لا يسيروا وراءها دون روية وتمحيص، وأن لا يأخذوا بآراء القائلين بالسير مع المدنية والانغماس في ماديتها، ونبذ التقاليد الشرقية والغربية، وقطع كل صلة بالماضي.

يظن أغلب الشباب أن قطعة صغيرة من طائرة أو سيارة أفضل من كل ما ورثناه من خلق ومعنويات وتراث روحي خالد!!.

لقد نشط الفكر، فلينظروا إلى أوربا فعندها الاختراع، وعندها الآلات، وعندها المصانع والأدوات... ولينظروا ما ذا حلّ بها؟ وكيف حالها في هذه الأيام؟.

نظر القوم إلى العلم، ولكنهم لم يعبأوا بالقلب او الروح!!.

نظر هؤلاء إلى النجوم، لكنهم لم ينفذوا ببصيرتهم إلى الله وراءها فماذا كانت النتيجة؟. كروب أحاطت بهم، وحيرة انتابتهم، فاذا هم في جحيم يتلظى، وفي دنيا من نار ودخان!!.

لا كانت المدينة، ولا كان علم يقود العالم إلى هذا الدمار، وإلى هذه الفوضى في الخلق والأوضاع.

فليس العلم كل شيء في هذا الوجود!!.

ان الاخلاق والمعنويات شيء عظيم في هذا الوجود، والإنسان لا يكون الرجل الذي ينشده الدين والفضيلة، إلا إذا صح إيمانه بالله، وحكم للقلب على العقل والمعنويات على الماديات.

والمدنية لا تكون سامية فاضلة إلا إذا سيرت العلم مع القلب والعقل مع الإيمان واليقين.

إذا أيقن الإنسان انه عماد أمته، به يترفع شأنها، وبه تقوى وتزداد حيويتها، إذاً أيقن أنه من وثبات مجدها، ومن خفقات قلبها، وان أغزر الناس حياةً أعمقهم تفكيراً، وأنبلهم شعوراً، وأصلحهم عملاً. عندئذ فهو الجدير بالحياة الكريمة، وحمل أمانيها وتبعاتها.

ان الجماعة إنما تصلح بالخلق والضمير لا بالعلم.

وأن النفوس لا تقوى إلا بتذليل الصعاب، ومجابهة المتاعب والعقبات والأخطار، وان من يقف أمواله وأيامه وجهوده على امتاع نفسه لا يعرف الحياة، لأنه لا يعرف الوطن.

فالعلم وحده نقمة وشقاء، وهدم وتدمير!!.

ولا يزكو العلم، ولا يثمر، ولايصبح أداة خير وبناء واصلاح، إلا على اساس من الروح والخلق العالي، ومدد من هداية السماء.

وان الرجل العظيم هو الذي يرشد بالمعرفة والعطف، لا من يستفز بالتحكم والبطش.

وأن أعظم الجماعات أقواها قلباً، وأحياها ضميراً وإيماناً، أكثرها صلة بهداية السماء.

فقد أصبح للدين بالنسبة للمدنية موقفاً عظيماً جديراً بالذكر والثناء فأنه الذي أبدل الفوضى في العالم نظاماً، وضرب المثل الأعلى للرقي والعظمة وأصبح مرآة للحضارة والمدنية بتعاليمه القومية، وجعل تلك النفوس الجافة والقلوب الغليظة أمة لها أخلاق سامية، وسجايا عالية.

علو في النفس، وصفاء في التفكير!.

حاجة العقل، ورقة في الطبع!.

إقامة للعدل، وخضوع للحق!.

فموقف الدين بالنسبة للمدنية موقف محدث للنقلاب في جميع فروع الحياة:

تناول العقائد والآداب.

تناول الأخلاق والعادات.

تناول السياسة والتشريع.

تناول الآمال والمطامح.

وهل المدنية الحقة غير هذه الأمور الحياتية الفاضلة؟.

فجاء الدين واقفاً موقف الخير ومجانباً للشر.

فلا قتل إلا بالحق!.

ولا زنى، ولا سرقة، ولا خمر، ولا قمار، ولا ظلم، ولا عدوان، ولا شقاق، ولا نفاق.

ووقف الدين موقف المتمم لمكارم الأخلاق.

فلا تحاسد، ولاتباغض، ولاغيبة، ولانميمة، ولاكذب، ولازور، ولاعدوان، ولابهتان، ولاغش، ولاخيانة، ولاتجسس، ولاهتك للحرمات.

بل اعتصام بحبله تعالى، ومساعدة للبائسين، واليتامي، والمساكين وبذل المال للسائلين والمحروين.

فهل بعد هذا ثمة شك أو ريب، في أن الدين لم يقف موقفاً ضاراً في سبيل الرقي والمدنية؟. إلا اللهم إذا كانت المدنية غير هذه الأمور أو بعكسها!!.

فلو رجع المتدينون إلى آدابهم وأخلاقهم السامية العالية، لعادوا إلى مجهدم القديم، وعزهم المنيع.

ولو تسمك العالم بالدين لفازوا بالخير والفلاح والنعيم.

المثل الأعلى للأديان

بعد أن اتضح مما سبق على وجهالاختصر بأن الدين من ضروريات الحياة، ومن لوازم الإنسانية، والعوامل البشرية، ومن ممهدات السلام، والطمأنينة، والرفاه والمدنية الفاضلة، وجب معرفة خير السبل، وأفضل الطرق، الوصول بها إلى تلك الغاية السامية، وتحتم الاعتناق بذلك الدين القيم الذي يصلح أن يكون ديناً أبدياً صحيحاً ملائماً لجميع الأزمنة والأدوار.

الدين الذين يمكن أن نقول فيه أنه خلاصة ما دار على الأديان من التطور منذ بعث الرسل حتى الآن، ويسير طبقاً لما يدور، وسيدور في هذا العالم من الأحوال، ويكون وفقاً في غاية المرام على مر السنين والأعوام.

فما هو ذلك الدين الذي يصح أن يكون المثل الأعلى لهداية السماء إلى هذه الإنسانية؟ يا ترى! أيمكن أن يكون كل هذه المعاني والخلق العالي، مجموعة في دين غير الإسلام؟؟.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[1]

---

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

لقد تحدث بعض الذين مكنتهماالقوة المادية من السلطان عن نظام جديد للعالم يكفل له السلام والعدل، ومثل هذا النظام لا يمكن أن يقوم إلا على أساس الدين.

وقد لدت تجارب الماضي الطويل، أن نظم الإنسان لا تبرأ من النقص، لأعواز الكمال فيها، وغلبة الهوى عليه.

وإذا استحال على العالم كله اعتناق مدنّية دينية واحدة، لأن الله لم يشأ أن يجعل الناس أمة واحدة، فأن المسلمين أولى الشعوب بالمبادرة إلى هذه المدنية الفاضلة، لأنهم مدينون لدين الله بسلطانهم الذي طبق الارض، وعمرانهم الذي جمّل الدنيا وشريعتهم التي نظمت فوضى الحياة ولولا الدين ما كان لهم علم ولاحكم ولاحضارة.

ولعل الذين استهوتهم مدنية الغرب من الشرقيين فقلدوها تقليد التابع الذليل، قد ادركوا اليوم بعد أن زيفتها التجارب، وكشفتها الاحداث، وحكم عليها أهلها أن الرجوع إلى مدنيتهم احق، واقتباس النافع من حضار الغرب أولى، وانشاء مدنية فاضلة مستقلة تقوم على الدين الصحيح، والاخلاق القويمة، والتقاليد الصالحة، هو الاشبه بأبناء الذين ورثوا مدنّيات الشعوب وثقافات الأمم، ثم اجروها على دستور القرآن ووسموها بطابع العرب، حتى جعلوها مدنيتهم الخاصة، إليهم تعزى، وعنهم تؤخذ. ولنستشهد بأقوال بعض العلماء الغربيين، ولنبرهن بأقوالهم على افضلية دين الإسلام، واحقيته على جميع الاديان، وفضله على مدنية العالم اجمع، والذي لا يمكن انكاره.

ولـيعلم مـن لا يعلـم ذلـك، واعنـي بـه مـن لا تكفيـه عظمـة قـرآن الاسـلام وعبقرية نبيه في ذلك، ليكون ذلك لديه دليلاً كافياً، وبرهاناً قاطعاً، وحجة تامـة، وعبرة لمن اعتبر!.

فليسـأل الشرـقيون علـماء ومـربي الغـرب الاوربـين عـن مصـدر مـدنيتهم الحاضرة، وحياتهم الجديدة، ليعلموا من اي مدينة ومملكة جلبوا هـذه الاحكـام، والافكار العجيبة التي حيرت العقـول، واعجـزت الافكـار والافهـام عـن كنـه معرفتها، مع العلـم انـه لم يكـن لـديهم غـير سـيدنا (المسـيح عليـه السـلام- قائـداً ومربياً- ولم يكن (المسيح) عليه السلام من أهل سياسة وتدبير.

يـذكر المـؤرخ الفرنسي- «فوسـتيل دو كـولانتر» في الفصـل الثـاني مـن كتابـه «التمدن القديم»:

«لم يتداخل المسيح- عليه السلام- بأي وجـه مـن الوجـوه في امـور القضـاء، والتملـك، والارث، ومـا يخص المدنيـة مـن الاحكـام، لـيعلم العـالم بـأن ابتـداء المدنية، والحياة الجديدة، والتربية الصـحيحة، سيكون مـن مدنيـة علـم الاسـلام التي سيجعل العالم اهلا للعلم والمدنية».

يكتب المستر «بار ثلمي سنت هيلر» في ترجمة القرآن:

«لقد اصلحت مفاسد ارائنا واشرافنا في القرون الوسطى بمعاشرة المسـلمين وتقليدهم، واقتبس اسلافنا من المسلمين الآداب الحسـنة والاخـلاق والصـفات المقبولة، والسجايا المحمودة».

يقول المؤرخ «غوستاولوين»:

«لقد اثر التمدن الاسلامي على العالم تـاثيراً محيراً للعقـول، ونفـوذ الاخـلاق الاسلامية وتربيتها قد أدخلت الأقوام الاوربية الوحشية التي كانت تقلق راحـة السلطنة الروحية في طريق التمدن، ولقد فتحت افكـار المسـلمين الجبـارة ابـواب العلوم والفنون والفلسفة التي كان الاوربين في جهل عنها لهم، وكـان المسـلمون استاذتنا طيلة ستمائة سنة».

يقول المستر (كارليل) الفاضل المعروف:

«ان القـرآن هـو التـشريع الاسـاسي لكـل زمـان ومكـان ومعـدن القضـاء، وقوانينه المتبعة في أمور الحياة لتهدي وتنير الطريق لاتباعه، فيلزم على كل فرد أن يفكر في آياته الحكيمة، ليخلص بنوره من ظلمات الحياة».

ويا للأسف!. ان جماعة من الجهال لا يصدقون هذه الاقوال ويقولون:

«أن الإسلام هو سبب تأخيرنا، ومسبب لظلمـة حياتنـا». ويجـدر بهـؤلاء ان يفكـروا ملياً، ويشـاهدوا مـا في التـاريخ، ويلاحظـوا اقـوال العلـماء والفلاسـفة، وليسألوا انفسهم بعد ذلك:

كيف كانت يا ترى! حالة اوربا ان لم تنتشر الديانة الاسلامية؟.

وليذّكروا كيف كانت حالة اوربا في القرون الوسطى؟.

وكيف كانوا قبل أربعة قرون مضت؟.

ولكن لا ينكر وجود جماعة من المفكرين الذين وجـدوا فـيهم وعرفـوا كيـف يعملون.

يقول المؤرخ الشهير «غوستاولوبون»:

«ولقد ظهرت احساسات بسيطة في اوربا، وذلك بين القرنين الحادي عشر ـ والثاني عشر ـ، وتوجه أفراد من هؤلاء المفكرين الذين رأوا وجوب النهضة لديهم.

وعظم المصاب في التأخر عندهم إلى المسلمين الذين كانوا حينذاك في درجات من الرقي، وفي سنة ١٣٠هـ بدأوا يترجمون الكتب العربية إلى اللاتينية، وذلك في دار الترجمة التي أسسوها في (طليطلة) المدينة المشهورة، وبهذا توسع نطاق أفكارهم، وأخذوا يتصورون حياة جديدة من وراء هذه الكتب، ولهذا يجب أن لا ننس ما للاسلام والمسلمين من اليد الفعالة في ايجاد هذه النهضات والمدنيات الحديثة».

كتب المستر «داوداور كوهرت» في مقدمة كتابه في المجلد الأول المسمى «روح الشرق» المطبوع سنة ١٨٢٩م:

«أن الإسلام لم يكن ديناً مبتدعاً، ولا وحياً مخترعاً، ليس به قومية، ولا حكومة كنائسية، بل سن شريعة للناس كافة و نظاماً مدنياً، يجب على كل فرد الانقياد إليه».

ولقد أكثر هذا القول جمٌ غفير من الأوربين مثل: (بلكريف)، (فمبرى)، (رولنص)، (ليرد)، (رولند)، (ستانلي)، (الدرلي)... وغيرهم.

وبما قاله (اسحق تيلر) في ملاحظاته في (ولفردهمبتن) ونشرت في جريدة التايمس في ٧ تشرين سنة ١٨٨٧م:

أ- (قد افاد الاسلام أكثر من النصرانية).

ب- (أما الإسلام فقد أزال جميع المنكرات، والخرافات، واخلص التوحيد لله عز وجل، وعلم كيف يدرك أدنى الشعوب الفضائل والكمالات الانسانية، كالعفاف، والطهارة، وحفظ النفس، والعدل، والاحسان، والضيافة، والصدق، والتسليم للقضاء والقدر، فالاخاء المسيحي صوري فقط، وأما الاخاء الاسلامي فهو اخاء حقيقي، ومما يليق بنا أن نذكره ان الآداب الاسلامية خير من آدابنا، وذلك بتسليمهم لقضاء عز وجل وقدره، واللطف، والوداعة، والصدق، والاخاء الايماني، فلا غرو أن يكون لنا بهم أسوة حسنة، فقد حرم الخمر، والميسر، والبغي، وهذه من مساوي البلاد المسيحية..).

قال السير (وليم ميود) في كتابه المسمى (حياة محمد):

«ان القرآن ممتلىء بأدلة من الكائنات المحسوسة، والدلائل العقلية على وجود الله تعالى، وأنه هو الملك القدوس، وأنه سيجزي المرء بعمله أن خيراً فخيراً، وأن شراً فشراً، وان اتباع الفضائل، واجتناب الرذائل فرض على العالمين، وان الواجب على كل مكلف أن يعبد الله تعالى، وهي علة سعادته، وقس على هذا ما هو موضح بأدلة مؤكدة بليغة».

وقال (وشنطون) مثله ايضاً.

وقول (جيون):

«أن أوامر القرآن ليست محصورة في الفروض الدينية والأدبية فقط، فان

سكان الممالك التي هي من حدود الاقيانوس الاتلانتيكي إلى الغنجس يعتبرون ان القرآن الكريم عليه مدار الأمور الأخروية والدنيوية من الفقه والتوحيد: والاحكام الحقوقية والجزائية، وما به انتظام الكون وقمع النظام، وصيانة الحقوق، وذلك أمر إلهي لا مرية فيه، وبعبارة أخرى: أن القرآن المجيد هو الدستور العمومي لكافة العالم الاسلامي، وهو دستور الدين الاسلامي، فهو نظام الكون في المعاد والمعاش، وبه النجاة الأبدية، وحفظ الصحة البدنية، والطامح العمومية والشخصية، وما يترتب على ذلك من الفضائل الأدبية، والاجراءآت الجزائية الدنيوية والأخروية، كل ذلك نظم في القرآن المجيد... الخ».

ووصف (ثبورت اسمث) بكتابه:- حياة محمد (صحيفة ٣٤٦) وقال تبياناً لما قام بأفكاره:

«أن محمدﷺ لمؤسس أمة ومملكة وهداية وهذا أمر لم يوجد له سبق مثيل، ولن يوجد، وهو أميٌّ لا يعرف القراءة والكتابة، وقد جاء بكتاب مشتمل على دستور الشرائع والعبادات وأخبار الأمم، وهو نفي العبارة من الألفاظ المستهجنة، باهر الحكمة والحقائق، وهو معجزة له «ﷺ» والحق يقال: أنه معجزة.

وذكر في «البيبليرا الانسكلوبيديا» (مجلد ٨ صحيفة ٣٢٦):

«أن لغة القرآن أفصح لغات العرب وأساليبه وبلاغته، لسحر للألباب يحسنها، وسيبقى غير معرض إلى الأبد، ومواعظه طاهرة، وكل من يتتبعها بتدّبر يحيا حياة طيبة.

قال (شاتفليد) في كتابه المسمى بـ (التصفح التاريخي) صحيفة ٣١١:

(لو أن العرب والترك وغيرهم من الشعوب الاسلامية فعلوا في الشرق ما فعله الاوربيون في أهل القرآن لتلاشت المسيحية من الشرق، غير أن دينهم يأبى ذلك ويخولهم أن يكون لهم من الحقوق ما للمسلمين.

وبعد التأمل بكل ما نقلناه من أقوال العلماء والفلاسفة الغربيين الذين يشهدون بأفضلية الدين الاسلامي، وبأحقيته على جميع الإديان، وبأصحية نظامه ودستوره وأحكامه بما نزل في القرآن على جميع الأنظمة والقوانين الملائمة لكل دور وحين، فليس من العقل أن ينكر أحد من ذوي الألباب، وأرباب العقول، واصحاب الفهم، ومن له الادراك والتبصر بأن هناك ديناً افضل من الاسلام، أو شريعة أحسن من شريعة القرآن الكريم.

دين جمع كل الفضائل، ونبذ جميع الرذائل!.

دين آدابه من أعظم الآداب:

فانه حرم قول السوء بقوله تعالى:-

﴿لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾.[(١)]

وحرّم التجسس والغيبة بقوله:-

﴿وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾.[(٢)]

---

(١) سورة النساء: ١٤٨.

(٢) سورة الحجرات: ١٢.

وحرم الخمر والميسر بقوله:-

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.(١)

وحرّم الخبائث والفساد بكافة أنواعه.

وحرمّ التكبر، وعمل السوء، والنفاق، والحسد، والطمع في الحياة الدنيا، وبحسن الكيل، وأكل مال اليتيم وقهره.

ومنع البهرجة الظاهرية.

وحض على الاخلاص القلبي، والعمل الصالح، والذين هم دليلان على صدق الإيمان.

دين أوجب حقيقة الإحسان على كل مؤمن، وبين ذلك بقوله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَبِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَالْجارِ ذِي الْقُرْبى وَالْجارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ﴾.(٢)

دين يرشد اهله إلى الاحكام المنظمة لاحوالهم الدنيوية، كتوطيد الأمن، ومنع التعدي من الاشرار وارباب المطامع، ووقوف كل فرد عند حده.

---

(١) سورة المائدة: ٩٠.

(٢) سورة النساء: ٣٦.

ومما في الاسلام:

الرأفة على الاطفال.

الوفاء بالعهد.

المساواة الحقوقية فيما بين الناس.

الاحسان.

العفة.

فك الاسرى.

الصبر على البلاء.

احتمال المكروه.

مقابلة الاساءة بالإحسان.

السلوك في سبيل الفضائل لا طمعاً بل لكون ذلك مرضياً عند الله عز وجل:

ومما نهى الاسلام عنه:

ظلم الارقاء:

قتل النفس.

تأخير التوبة إلى ساعة الموت.

أخذ مال الغير دون رضاه.

البغي والفساد.

الكذب والخداع.

التلون، والمكر، والحيلة، والنميمة.

إجبار الغير على قبول الاسلام رغماً، وذلك بقوله تعالى:-

﴿لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.[١]

ومما لاشك فيه، أن الدين الذي يدعو إلى هذه الأمور التي يحكم العقل السليم يحسنها هو الموافق للعقل السليم والملائم لهذه الانسانية ليخلق من الانسان انساناً حقيقياً بما في كلمة الانسان من المعاني.

وإذا وجدنا في هذا الدين ما نراه مخالفاً حسب عقولنا فما هو إلا من ضعف ادراكنا، وقصر عقولنا في الحقيقة، لأن الدين والعقل صنوان لا يفترقان.

والدين الإسلامي هذا هو الدين الذي يدعو (عبد الله وليم) في رسالته الشهيرة (العقيدة الإسلامية) المترجمة بالعربية ابناء وطنه قائلاً:

هذا هو الاخاء الذي ادعو اليه أبناء وطننا الانكليزي، وهذا هو الايمان الذي نعرضه عليهم ليعتنقوه، راجياً منهم نبذ العصبيات الدينية وراءهم ظهريا، وهي التي ورثوها كابراً عن كابر، وان لا تمسكوا إلا بعروة الايمان الوثقى التي لا انفصام لها.

ويدعو كل ما لايقبله الذوق السليم، والطبع المستقيم، إذ كل مالا يدرك ولا يدخل تحت الامكان ينتج ضرورة وجود الريب وعدم الثقة. وهو أمر تخشى عواقبه في الايمان الحقيقي، لأن النتائج دقيقة جداً وعاقبته الضلال والغواية، وهي خطر عظيم.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

وكلما نتوق إلى كنهه من الأمور الدينية المهمة، فان الدين الاسلام ينّبي عنها بأجلى بيان، ويّعلم الانسان حقيقة التسليم إلى الله تعالى.

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.(١)

وان الذين يقولون ان الاعتقادات ليست بشيء، فمن المحال أن يكونوا قد أدركوا حقيقة قولهم، كما قال- كونس روجس- بما يقتضي الحال:

(في اي بلاد يكون دين المرء غير ثمين لديه، مع أنه يعتقد ان وراء هذه الدار داراً أخرى وبها تكون المكافأة والمجازاة، وخلاصة سعادته وشقائه متوقفان على ايمانه، وما أجهل امرىء أضاع حياته بما به الوبال والخسران عليه، لأنه لم يغتنم الفرصة التي اغتنمها من هو أعظم منه ادراكاً، وأقوى شهامة، فأنه ترقي في سلم النجاح).

(فالايمان ليس صناعة أو علماً يمكنه استقراء أدلته كي يظهر به فساده في هذه الحياة الدنيا بل انما تظهر نتائجه وما يترتب عليه في تلك الدار).

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.(٢)

فيجب على كل انسان أن يصرف همته إلى الله تعالى بالاخلاص في الأعمال الصالحة، حتى إذا أتاه اليقين شرب كأسه غير رجل متكلاً على الله عز وجل بإخلاص، فيكون كطفل أمرته أمه بالنوم ليرتاح من عناء نهاره.

---

(١) سورة فصلت: ٢١.

(٢) سورة الشعراء: ٢٢٧.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.[1]

إذاً الاسلام هو الدين الحق الذي يجب اتباعه للاستضاءة به، والاسترشاد بأحكامه، واقتران العلم بالعمل بعد معرفة أوامره وقوانينه.

أما العلم والعمل فهما فرض في نواميس الحياة وأصول تنازع البقاء على كل فرد من البشر وكل شعوبه، وان اختلفت العلوم، وتنوعت الاعمال، ولكن لا ندحة لذي صحة عن عمل ما يبنى على علمه اللازم له، واللائق به، وإلا فالعمل بلا علم كالبناء على غير اساس أخلق به وشيكاً أن ينهدم على صاحبه ويقضي على ظمأ حياته.

والعلم بلا عمل كالأساس بلا بناء، لا يزال صاحبه ضاحياً في وهج الشمس عرضة للصروف، ولا يعتم أن تمزقه نفحات الزمهرير، ولفحات الهجير من عواصف هذا الكون.

تمزقه مجاذبة الحدثان بالاهمال: ولو أظلته ارفة القصور، أو انضمت عليه أجنحة النسور، فالعلم والعمل هما المعنيان، بل العينان واليدان للرجل والرجلان، وهما الأداة لكل مساع إلى سبل الغايات الحيوية بل السعادة الأبدية، فرداً أو اسرة، جماعةً أو وحداناً.

وان الاسلام: هو الدين الأصيل الذي تطابق نواميسه العقول وتقبله الفطرة، ويتكفل بكل شرف وسعادة.

---

(١) سورة الحجرات: ١٧.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.[١]

واستشهاداً لعظمة هذا الدين المبين ننقل هنا نص خطاب لشخصية غربية من الألمان قد أعلن ترك الكنيسة والانفصال عنها بعد أن ثبت لديه مفاسدها منذ الحرب العالمية سنة ١٩١٨م وبقي يفتش عن دين صحيح يصح ان يكون المثل الأعلى للأديان، فاهتدى قبل سنوات خمس إلى غايته المنشودة، وهي الاسلام الذي عده كما هو الحق المثل الأعلى للاديان، والدين الوحيد الذي ينبغي للانسان ان يتدين به في مثل هذا العصر والزمان، فأعلن اسلامه في الجامع الأزهر في مصر، ثم زار العراق والعتبات المقدسة فيها ليقتبس منها النور الآلهي الحق، وليؤمن حقاً بأن الدين عند الله الاسلام.

وهذا ما نص خطاب له القاه في الأزهر:-

السلام عليكم:

كم يفد الناس إلى البلاد الاسلامية، وقد امتلئ ترؤسهم بأفكار مشوشه، وكم يأخذون عنها صوراً كاذبة بعد قضاء فترة من الزمن فيها، وكم يروون من الخزعبلات عنها عندما يعودون لأوطانهم.

فكما يفعل الناس في البلاد ذات التفكير الأوربي من الخلط بين (الإله) و(الدين) و(الكنيسة) كذلك يحكم الاوربيون على الاسلام ومقفيه حكماً خاطئاً في الغالب، لأنهم يرون كل شيء بأعين أوربية، ولأنهم لا يفهمون كيف يتغلغلون في نفسية المسلمين.

---

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

لا يستطيع الإنسان الحكم على أمر من الأمور ما لم يعرفه حق المعرفة... إذاً فلا تحكم – ياصديقي – على الأمور في عجلة وقبل الأوان وإلا كان حكمك خاطئاً ظالماً، فأنت ولاشك تحب الحق، وتبعاً لذلك، فأنت تحب العدل، إذاً فدعني أسدي إليك مشورتي:-

الاسلام هو أكثر الأديان اجتماعية، فما هو الدين؟. الدين: هو علم التعرف على الله، لا تحكم تبعاً لبعض النماذج التي تحت ناظريك والتي قد تكون قد أثارت سخطك، فالطبقات الشعبية الضخمة – من الناحية النفسية – موجودة في جميع المدن الكبرى، الأوربية والامريكية، وليست قاصرة على الشرق وحده، فاذا بدرت من هذه الطبقات في الشرق اخطاء كبرى فالمسؤل في المواقع من حدوثها هم اولئك الذين لاعتناقهم أدياناً غير الاسلام، يسلكون مع هذه الطبقات الشعبية كما لو كانوا عبيدهم أو آدميين من الدرجة الثانية. ناسين أن هذه الطبقات قد تركت حتى الآن دون تعليم أو تهذيب عن قصد.

فالناس في هذه البلاد وإن كانوا فقراء، إلا أنهم ليسوا شيء الطوية.

دع النظر إلى الأمور بأعين الأوربي، واعلم أنك إمام عقلية مختلفة وامام موقف من الخالق والحياء يختلف عما في بلادك، فالاسلام يعطي الناس القوة على تحمل ما يقترف معهم من مظالم.

فما هو الاسلام؟-

الاسلام: معناه التسليم – التسليم بما فرضه الله عليك من واجبات في سبيل المجموع، أليس هذا أسمي ما تهدف إليه أمة؟ وأكثرها مثالية.

لن تجد كرماً ولا تأدباً أكثر مما تجد عند المسلمين، فهل استرعى ذلك نظرك؟.

والاسلام: سواء منه الاتجاه التقليدي أو الاتجاه الحديث يعترف بمدأ الفردية، وبما للاسرة من مكانة خاصة: وبما تفرضه الكتب السماوية من نظم.

فكن معي قليلاً أيها الأخ:- أي الديانات تعتنق تلك الامم التي شنت أكبر الحروب العالمية، وأفظعها رغم ما توصي به تلك الأديان من المحبة للجيران، ورغم ما تدعيه تلك الامم من حضارة ومدنية، وليتها اكتفت بشنها فيما بينها دون أن تجر إليها الامم الضعيفة المتأخرة على أي حال لم تكن تلك الامم اسلامية، فمحبة الجار الحقيقية تجدها عند المسلمين، فلقمة الخبز وجرعة الماء الباقية يقتسمها المسلم معك، وليس هذا مجرد إدعاء، بل حقيقة واقعة، ومحبة عماية، كما يفرضها القرآن.

حقاً توجد هنا كما في سائر بقاع الأرض مشاكل اجتماعية كبيرة وهذا ما يعلمه قادة الاسلام حق العلم وما يعلمون على ايجاد الحل الملائم له.

أما تعدد الزوجات: هذا المأخذ المعروف الذي يعيبه البعض على الاسلام، فقد ورد ذكره في السورة الرابعة، حيث يتحدث القرآن عن جواز تزويج أربع نساء أذا استطاع الرجل أن يعدل بينهن، أي أن يقوم بأودهن وان يشملهن بعطفه على قدم المساواة، أذاً فتعدد الزوجات ليس من السهولة بما نتصور، ثم لا ننسى ان القرآن نزل والنساء أكثر عدداً من الرجال، فهو يحل مشكلة اجتماعية، لكن المسلم كغيره من معتنقي الأديان الاخرى لا يتزوج عادةً سوى واحدة.

لاحظ ذلك الأدب الجم الذي يتحلى به الناس في هذه البلاد فالمسلم يحتمل حظه من الحياة وقلبه مفحم بالخشوع لله والإيمان برحمته وعدله لاحظ مظهر الاعتداد بالنفس، وبرغم هذا الاعتداد بالنفس جسداً وروحاً لا يعرف المسلم الغرور الطبقي والترفع على الغير.

فالمسلم المؤمن يعتقد كل الاعتقاد: – أن الله وحده هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن الجبار له الأسماء الحسنى.

لا إله إلا الله، له الحمد: هو الخالق المصور، يسبح بحمده من في السماوات والارض، وهو القادر الحكيم.

لقد اتخذ المسلم مرشداً لحياته لا يضل، لقد سلم امره في كل شيء وفي شخصه الله.

أن عبارة: انشاء الله، لا تدل كما يظن البعض على عدم الاهتمام، بل تدل على ايمان قوي بالله واعتماد كلي على الله.

العالم كله يعوزه السلام في قرارة النفوس، هذا السلام تهبك اياه العقيدة الاسلامية لايعرف المسلم الخوف والتشكك والألم النفسي فهو يقر قراره بهدوء في كل مشكلة من مشاكل الحياة مهما كانت معقده هذه الحياة التي وهبها الله اياها والتي سيسلبها منه، لذا لا يعترف المسلم اثم الانتحار، ولو انه لا يخش الموت.

ليس الاسلام تعاليم الخضوع السلبي، بل هو تعاليم الكفاح والخضوع، فالله يرتب أعمالنا معاشر المسلمين وهو محيط بنا في كل زمان.

ويوم الحساب، سوف يحقق الله عدالته بين الناس، وسوف يقودنا جميعاً إلى الطريق السوي.

ولئن شئنا أن يصلح أمر هذه الدنيا وجب أن اصلح من أمري وان تصلح من أمرك بركة الله وسلامه عليك.

الله اكبر ولله الحمد.

﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ*الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ*مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ*إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ*اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ*صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾.[١]

(عمر مبارك- الالماني الجنسية من أهالي هامبورك) المعلن لاسلامه في مصر.

وهو أحد الضباط العسكرين الذين كانوا تحت قيادة القائد المعروف (هند مبرغ) وله منه اوسمة كثيرة لعقيدته الممتازة، وهو الآن خبير فني في أحدى الشركات العالمية في مصر.

(١) الفاتحة: ١-٧.

الاسلام و التوحيد

الاسـلام: وعقيدتـه التوحيـد بـالله تعـالى، أي الخضـوع والتفـويض في جميـع الامور إلى تلك القوة المـدبرة في الكـون، المدركـة الحكيمـة الأزليـة القديمـة التـي يخضع لها كل شيء، ويعنو كل موجود بحكمها وتؤثر في كل شيء ولا يـؤثر فيهـا شيء، وهي: (الله جل شأنه).

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ*اللهُ الصَّمَدُ*لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ*وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.[1]

وهذه هي المشكلة التي أشغلت القلوب كلها!!.

وهذه هي المعضلة التي استولت على كل لبّ، والتي كادت النفوس أن تطير شـعاعاً إلى استـكناهها، والوقـف عـلى صـميم حقيقتهـا، فتضـاربت فيهـا الآراء، وتمزقت عندها الاهواء.

على عاديات الدهر ناموس حـرب سـجال، جـرت سـنة الكـون عليـه فـيما لا يزال أن لا يستنير، ولا يستطير شرر الحقائق إلا بـذلك التملـك والتضـارب، بـل هذه هي المسألة التي كادت من وضوحها ان تخفـى فاوشـكت مـن حضـورها أن تغيب.

---

(١) سورة الاخلاص: ١-٤.

-سبحانه ما أضيق الطرق إلى الوصول لمعرفته، وإلى هدايته وسبيله لمن لم يكن هو دليله! سبحانه ما أجل شأنه، وأعظم قدره!!.

انه لا يرى، ولايعلم ما هو؟ وأين هو؟ وكيف هو؟.

ليس له مكان! ولا هو جسم! ولا له هيكل خارجي! ولا يعرف كنه معرفته وذاته إلا هو!!.

تقاصرت العقول والأفهام والمدارك الجبارة عن كنه معرفته!!.

فهو لا يمكن أن يحس بوجوده باحدى الحواس.

والذين يقولون: بأنه لا معّول للعلم إلا على ما يحس بأحدى الحواس الخمس فقد أنكروا عقولهم!

إذ من المتفق عليه انه لو وضع أعظم مجهر (ميكر سكوب) ونظر خلاله إلى كل خلية من خلايا الجسم، وكل دقيقة من دقائق المادة. وفصل كل جزء من أجزائه، ونفذ إلى أقصى أبعاده، لما أبصر شيئاً من النفس ولا اظهر شيئاً من العقل ولا قبض عليهما.

ولا سمع لهما صوتاً ولا همساً، ولما وجد لهما طعماً يذاق، وعليه فلا وجود للنفس ولا حقيقة للعقل، بل وعليه فلا حقيقة لشيء من شؤن النفس، مجرّدة، أو جسمانية، فلا إدراك، والخيال، ولا حافظة، ولا ذاكرة، ولا مصورة، ولامفكرة، ولا لذة، ولا ألم ولاصحة، ولا سقم، ولاجوع، ولاشبع. إذ كل هذه المحسوسات، ولكن لا شيئ من تلك الحواس الظاهرة.

فلو قصرنا الأشياء الراهنة على مدركات تلك الحواس، لكننا فرقنا بالعلوم والحقائق في هوّة حالق، وخسرت صفقة العلم وأهله، وخاب كل إنسان من جدوى عقله.

وهل تحس النفس إلا بآثارها؟.

وهل تعرف إلا بأعمالها؟.

وهل تمتاز إلا بخواصها؟.

تلك الخواص التي تعود بالانسان قهراً إلى الاذعان بأن هناك كائناً مهما جهلت حقيقته فأنه لا يجهل.

وانه حي موجود مدرك ليس بجسم، ولا من جوهر المادة ولا من حقيقتها، وان حل فيها واستعملها، واستكمل حقيقته باستخدامها، وتوّصل بها إلى ما لم يكن يتوصل إليه بدونها.

قال الأستاذ (هرشل):

«كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لاحد لقدرته ولا نهاية.

فالجيولوجين والرياضيون والطبيعيون قد تعاونوا وتضامنوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده.

وقال (كامبيل فلا مريون):

«لقد عجز الأساتذة عن حلّ مسألة استمرار الوجود، ودوامه، ولذلك فهم مقرّون بضرورة وجود الخالق، وتأثيره الدائم المستمر ليمكنهم تفسير تعاقب الكائنات، وادراك سر وصول الأشياء».

وقال الاستاذ الطبيعي الانكليزي (ميلين ادوارد):

«يجب أن يندهش لما يرى أن أمام هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجالا يدعون ل كان كل هذه العجائب الكونية ليست الا نتائج الصدفة، او بعبارة أخرى نتائج الخواص العامة للمادة، واثر لتلك الطبيعة التي تكون من الخشب، ومادة الاحجار، وان إلهامات النمل مثل أسمى مدركات القوة الانسانية ليست إلا نتيجة عمل القوة الطبيعية أو الكيماوية ان هذه الفروض الباطلة أو بالأولى هذه الأضاليل العقلية التي يسترونها باسم العلم الحسى قد دحضها العلم الصحيح دحضاً، فان الطبيعي لا يستطيع أن يعتقدها أبداً، واذا أطال الانسان على وكر من اوكار بعض الحشرات الضعيفة يسمع بغاية الجلاء والوضوح العناية الآلهية ترشد مخلوقاتها إلى اصول أعمالها اليومية».

وقال (سبنسر):

«نرى من كل هذه الأسرار التي تزداد غموضاً كلما زاد بحثنا فيها حقيقة واضحة لابد منها وهي أنه يوجد فوق الأنسان قوة أزلية أبدية ينشأ عنها كل شيء».

وقال العلامة (فنوتل):

«ان أهمية العلوم الطبيعية لا تحضر في فهمه عقولنا فقط، ولكن أهميتها الكبرى هي رفع عقولنا إلى خالق الكون، وتحلينا باحساسات الاعجاب والاجلال الواجب لذاته المقدسة».

وقال العلامة (لينية):

«ان الله الأزلي الكبير والعالم بكل شيء، والمقتدر على كل شيء قد تجلى لي بدائع صنائعه حتى صرت مندهشاً مهبوتاً، ان المنافع التي نستمدها من هذه الكائنات تشهد بعظيم رحمة الله الذي سخرها لنا، كما ان جمالها وتناسقها ينبىء عن واسع حكمته، وكما ان حفظها عن التلاشي وتجددها يقر بجلاله وعظمته».

وألصق الأقوال بالصدق، وأقربها إلى الصواب، وأرفعها إلى الاستحسان والاعجاب، قول علامة الطبيعة واستاذ الطبيعيين

(باكون) حيث يقول:

«ان العلوم الطبيعيةاذا رشفت بأطراف الشفاه أبعدت عن الله ولكنها إذا شربت عباً أوصلت إليه».

ان هذه الأقوال التي نقلناها من كلمات بعض الفلاسفة الغربيين، هي أدلة واضحة استدلوا بها على ثبوت الصانع الحكيم.

وهناك كثير من أمثال هذه الكلمات التي لا مجال لذكرها في هذا المختصر لأمثال اولئك الجهابذة الروحيين، والأساتذة الطبيعين على انهم من أكابر

الآلهيين مثل:

«ولـيم طمســن، أون، دوســن، غــراي، كــربنتر، فــولتير، لــوك، هيــوم، شافقسبري، ليسنج، مندلسون، جوتيه، برناردشوب...الخ.

إثبات المعبود

لزيادة الايضاح والتأكيد في اثبات وجوده الذي هو خليق وجدير بأن يكـون معبوداً لهذه الانسانية، ومصدراً للهداية السماوية، ومنبعاً لكـل فضـيلة، ووسـيلة لكل خير وحسنة، ومرشداً لكل ما فيه الخير والرفـاه والسـعادة الأزليـة الأبديـة، نورد في هذا الفصل بعض الأدلة والبراهـين العقليـة والعلميـة التـي لا يمكـن أن يرفضها ذوو العقول، وأولو الألباب وهي:-

١- : أن كل نفس لا تخلو من جهتين:

أما أن تكون هي التي صنعت نفسـها وكانـت موجـودة، أو صـنعتها وكانـت معدومة، فأن كانت صنعتها وهي موجودة فقد استغنت بوجودها عن صـنعتها، وان كانت معدومة فانك تعلم ان المعدوم لا يحدث شيئاً فلا بد من وجود صـانع صنع الأشياء ولم يصنع.

٢-: لابد لكل مصنوع من صانع:

فكيف يمكن أن تخلق السماوات بـما فيهـا: مـن النجـوم والكواكـب والاقـمار والشموس، والأرض وما عليها من الحيوانات والنباتات وما في باطنها مـن المـاء والمعادن فلا بد من وجود من خلقها وسواها وهو الله تعالى.

٣- كيف تكّونت أجسام الحيوانات بهذه الصناعة البديعة؟.

ولأيّ المقاصد وضعت أجزاؤها المختلفة؟.

هل يعقل أن تصنع العين الباصرة بدون علم بأصول الأبصار ونواميسه والأذن بدون المام بقوانين الصوت؟.

كيف يحدث أن حركات الحيوانات تجدد بارادتها؟.

ومن أين هذا الالهام الفطري في نفوس الحيوانات؟.

فانه هذه الكائنات كلها في قيامها على ابدع الأشكال وأكملها، ألا تدل على وجود من هو منزه عن الجسمانية، حي حكيم، موجود في كل مكان، يرى حقيقة كل شيء في ذاته، ويدركه اكمل ادراك؟ فطبعاً ذلك هو الله جل شأنه.

٤- من الجلي الواضح بأنه لا يوجد أي سبب طبيعي استطاع أن يوجه جميع الكواكب وتوابعها للدوران في جهة واحدة وعلى مستوى واحد بدون حدوث أي تغيير يذكر، كما يصرح بهذا جميع العلماء والفلكيين بالنظر لهذا الترتيب يدل وجود حكمة سيطرت عليه وتلك هي (الله تعالى).

٥- أن تكوين الاجرام السماوية التي استطاعت الذرات المبعثرة ان تنقسم إلى قسمين:-

القسم المضيء منها انحاز إلى جهة لتكوين الأجرام المضيئة بذاتها كالشمس والنجوم. والقسم المعتم تجمع في جهة أخرى لتكوين الاجرام المعتمة كالكواكب المعتمة وتوابعها (الثابت في علم الفلك) لا يعقل حصوله كما هو الظاهر إلا بفعل عقل لاحد له وهو الله عظمت قدرته.

٦- في مثل هذا العصر العلمي الذي وصلت درجة العلوم والمكتشفات والمخترعات إلى أعلى مراتبها، وبلغت أقصى حدودها، بما أوجدتها تلك العلوم من الأشياء والأدوات والآلات التي تحّير العقول، فأنها لم تتوصل ولن تتوصل إلى خلق الإنسان أو الحيوان أو نبات بتركيبه الحقيقي قادر على القيام بمميزات الاحياء أو لاكتشاف ما يدفع عن الإنسان خطر الموت.

فينظر من هذا كله أنه لابد لوجود قوة جبارة قادرة فوق القوة البشرية المنصورة متصفة بصفات أرقى مما يمكن أن يتوصل البشر إلى معرفتها والتي أحدثت هذا العالم وهي (الله جل شأنه).

٧- من المحقق ان الحركات الحالية للكواكب لايمكن أن تنشأ من مجرد فعل الجاذبية العامة، لأن هذه القوة تدفع الكواكب نحو الشمس فيجب لأجل أن تدور هذه الكواكب حول الشمس ان توجد يد ألهية تدفعها على الخط المماس لمدارتها.

٨- ان الممكنات الموجودة سواءاً كانت متناهية أو غير متناهية قائمة بوجود، فذلك الوجود أمّا أن يكون مصدره ذات الامكان وما هيات الممكنات وهو باطل لأنه من الماهيات الممكنة يمقتضى الوجود.

فتعين أن يكون مصدره سواها وهو الواجب بالضرورة وهو الله سبحانه وتعالى.

٩- أن جملة الممكنات الموجودة ممكنة بداهة وكل ممكن محتاج إلى سبب يعطيه الوجود.

فجملة الممكنات الموجودة محتاجة بتمامها إلى موجود لها، فاما أن يكون عينها وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه، وأما أن يكون جزءها وهو محال لاستلزامه أن يكون الشيء سبباً لنفسه، ولما سبقه أن لم يكن الاول ولنفسه فقط، فان فرض الاول وبطلانه ظاهر لذا وجب أن يكون السبب وراء جملة الممكنات، والموجود الذي ليس ممكن هو الواجب إذ ليس وراء الممكن إلا المستحيل، والواجب والمستحيل لا يوجد فيبقى الواجب.

فثبت ان للممكنات الموجودة موجداً واجب الوجود وهو الباري جلت قدرته.

١٠- لما كان العالم حادثاً وانه لم يوجد من ذاته لأن الحصول على الوجود حدث يقتضي له الفعل، فمن الضرورة أن يكون موجوداً أو لا أو غير العالم أخرجه من العدم إلى الوجود.

ومن استحالة التسلسل إلى ما لانهاية له يحكم العقل على أن هذا الوجود الذي أوجد العالم وما فيه هو موجود اول الواجب الوجود بذاته وهو مبدأ كل موجود وهذا الموجود الأول وهو الذي ندعوه (بالله تعالى).

١١- أن أول إنسان نشأ في حضن الطبيعة ومتع النظر في هذا الكون الفسيح أذعن لأول وهلة إلى أن له مبدعاً ابدعه وموجوداً أو جده وذلك الفجر الذي يطرأ عند اهتمامه بأمر نفعه الذاتي ودرأ الكوارث الطبيعية عن نفسه مهما توسعت لديه الحيلة وحصوله على مالم يكن يحسبانه من غير داع وسقوط ما في يده بعد اشد الحرص عليه بالرغم عنه واخضاعه لمن هو

أشد منه قوة فمن هذه النقائض وفسخ العزائم ونقض الهمم ونظائرها علم بأن لهذه الارادات الخفية، والالهامات الغريبة مريداً يصرفها بمشيئته وذلك المريد الفعّال هو الله الخالق.

١٢- ان نشوة الأزهار الجميلة الزاهية بألوانها ذات العطور الشذية من تلك المادة الجامدة التي لا حس لها ولاحراك وحدوث الاثمار اللذيذة الشهية من ذات هذه الجامدة على مافيها من اريج فواح والتي حيرت عقول علماء الطبيعة، اذ لا يدرون كيف تستحيل هذه المواد الأرضية إلى اجزاء حية صالحة، لأن تكون اجزاء النباتات العفنة كيف لا يأخذ كل نبات إلا المواد الضرورية له دون سواه، مع ان المواد كلها موجودة في التربة على السواء.

فهل جاءت كلها على سبيل الصدفة العمياء؟

كلا! بل لابد أن يكون لها من يدبرها وهو الله المدبر الحكيم.

١٣- لو دققنا بنظر الاختبار والتفحص بيضة طير من الطيور ولاحظنا الطبقات التي تحتوي عليها تلك البيضة من قشرة كلسية خارجية صلبة لحفظها من الطوارىء الخارجية وقشرة خفيفة هلامية ثابتة ثم طبقتي الأح والمح اللذين لايختلطان ولايمتزجان معاً مهما اهتزت البيضة ورجت ومهما بقيت وفي أي مكان وضعت.

فما هي يا ترى تلك القوة التي تحول دون امزاجهما والتي سببت تركيبها على هذا الترتيب والتنسيق والنظام؟.

وما هي تلك القوة التي تخرج من هذه البيضة البسيطة التي لا يمكن رؤية أي شيء منها بأية آلة كانت سوى ما ذكر من طبقاتها الملونة البيضاء والصفراء ذلك الطائر الجميل الريش كالطاووس مثلاً أو ذلك الطائر المغرد الجميل كالببغاء.

أهي الطبيعة أو الصدفة؟.

كلا! ثم كلا! إذاً لو فكّر ملياً لوجد أنها هي: (الله القادر الباري المصور).

١٤- لو وضعت قطرة من تلك المادة العفنة الا وهي (المني) تحت المجهر لما ظهرت فيها إلا تلك الحيوانات الصغيرة.

فلو فكر الانسان في تلك القوة الجبارة التي تجعل من هذه القطرة المنوية العفنة التي ليس فيها إلا ما هو أشبه بالعلق الصغير ذلك الطفل ذو اليدين والرجلين وذو الحواس الخمس الذي تحير خلقته العقول ثم يبدأ هذا الطفل رويداً رويداً بالنمو والتكامل حتى يصبح إنساناً.

أيمكن العقل ان يصدق بإنها صارت على سبيل الصدفة وعلى منهاج الطبيعة؟.

أليس هناك ما يجب ان يصدقه العقل من القوة الكامنة في ما وراء هذه الطبيعة التي خلقت منها الانسان؟ والتي تدبر اموره وتسير شؤونه في الحياة؟.

فان تلك القوة العظيمة الحكيمة المدّبرة الخالقة هي (الله تعالى) جلت قدرته.

١٥- ان من عرف حقيقة الواجب والممكن عرف بأدنى فكراته لو لم يكن في الوجود واجب الوجود لم يكن لشيء من الممكنات وجود أصلاً لأن

الموجودات حينئذ كلها تكون ممكنة والممكن ليس له من نفسه وجود ولا لغيره عنه وجود فلا بد من وجود واجب الوجود لتحصيل وجود الممكنات منه.

١٦- نستطيع بناموس رياضي لا يتبدل ان نقيم الدليل على ان العقل الذي وضع نظام الكون ونفّذه عقل مهندس حكيم.

فأن الشمس التي هي مصدر حياتنا تبلغ حرارتها عند سطحها (٦٧٠٠) درجة مئوية، وقد بلغ بعد ارضنا عنها المبلغ الكافي اللازم لجعل تلك (النار الخالدة) كافية لنا، لا تزيد ولا تنقص عما نحتاج إليه ولو كان اشعاع الشمس نصف ما هو عليه لضربنا الجمد، ولو زاد خمسين بالمائة عما هو الآن لأنضجت جلودنا الحرارة.

وميل الأرض البالغ (٢٣) درجة هو الذي يحدث فصول السنة، فلو لم يكن ميله على ما هو لتحركت الأبخرة المتصاعدة من سطوح المحيطات نحو الشمال ونحو الجنوب ولكّونت منها قارات من الجمد.

ولو كا بعد قمرنا (٥٠) ألف ميل بدلا من (٢٨٦) الف ميل لبلغ المد والجزر مبلغاً هائلاً يكفي ان يغمر القارات جميعاً بالماء مرتين كل يوم ولتفتت الجبال منذ آماد طويلة- ولو كانت قشرة الأرض اسمك مما هي الآن بعشرة اقدام، لما وجدنا في الجو اكسجيناً، وبغير الاوكسجين يموت كل حي من الحيوان على الارض- ولو كان المحيط اعمق مما هو الآن يضع اقدام، لامتص كل اوكسجين وثنائي اوكسيد الكاربون ولتعذر نمو النبات- ولو كان جو الارض ارق مما هو

لتهاوى بعض النيازك على شتى انحاء الارض فتضرمت النيران فيها، بدلا من ان تحترق وتذوب في الجو وهو ما يحدث الآن.

فهذه الامثلة وكثير غيرها تثبت على ان احتمال ظهور الحياة على الارض مصادفة لايبلغ واحداً من ملايين وتؤكد لذوي الالباب وجود ذلك المهندس الحكيم وهو الله جلت عظمته.

١٧ - ان سعة حيلة الحياة في تحقيق اغراضها يدل على تدبير عقل منبث في خلالها جميعاً.

فلم يستطيع انسان ما ان يدرك كنه هذه الحياة فهي لا وزن لها ولاطول ولاعرض ولاكثافة، ولكنها تنطوي على قوة فالجذر النامي مثلاً يشق الصخر شقاً، وقد تغلبت الحياة على الماء واليابسة والجو، وسيطرت على العناصر ففرضت عليها ان تنحل ثم ان تعيد تركيب مؤلفاتها.

والحياة مثّال يخلق اشكال جميع الاحياء، وفنّان يرسم كل ورقة على شكل شجرة، يلون كل زهرة، والحياة موسيقى قد علمت كل طائر ان يغرد تغاريد الحب، وألهمت الحشرات ان تدعو بعضها بموسيقى اصواتها العجاجة.

والحياة هي الكيميائي الاكبر، تمخ الثمار والافاويه طعمها ومذاقها والورد عطره- وتحول الماء وحامض الكوربونيك الى سكر وخشب، وتطلق الاكسيجين حتى تستطيع الحيوانات ان تتنفس نسمات الحياة.

ونظرة إلى نقطة لاتكاد ترى من البروتوبلاسمة (المادة الحية شفافة كالهلام، قادرة على الحركة تستمد الطاقة من الشمس.

فهذه الخلية الوحيدة، هذه القطرة الصغيرة الشفافة التي تبدو كأنها نطفة دقيقة من ضباب تنطوي ثنايها على جرثومة الحياة، وتقدر ان تنفث هذه الحياة في كل شيء حي، كبيراً كان أو صغيراً، وقدرة هذه النطفة هي اعظم من نباتنا وحيواننا وبشرنا، لان الحياة نبتت منها فالطبيعة لم تخلق الحياة اما الصخور التي صهرتها النار، واما البحر الذي لاملح فيه فلم يكن في وسعهما ان يهيئا الاحوال اللازمة لظهور الحياة.

فمن الذي اوجدها في الارض (غير الله تعالى) ؟

١٨- ان حكمة الحيوان تنطق بلسان لا ترد حجته بان لها خالقاً كريماً بثّ الغريزة في حيوانات صغيرة كانت لولا هذه الغريزة لكانت احياء عاجزة.

ان سمك السلمون الصغير، يقضي سنوات في البحر، ثم يعود إلى نهره، ويشق طريقه في النهر على الجانب الذي يصب فيه الجدول الذي ولد فيه.

فمن يرجعه إلى مسقط رأسه بمثل هذه الدقة العجيبة؟.

واذا نقلته إلى جدول آخر غير جدوله ادرك من فوره ان ضل طريقه فيكافح لكي يعود إلى مجرى النهر الكبير ثم ينقلب مواجهاً تياره ويمضي حتى ينتهي إلى غايته على أدق وجه.

والزنبور بقهر الجدجد ثم يحفر حفرة صغيرة في الأرض ويلدغ الجدجد حيث ينبغي له أن يلدغه حتى يموت بل لكي يفقد وعيه ويظل حياً يصلح للأكل، فكأنه لحم محفوظ، ثم تضع انثى الزنابير في المكان الصالح حتى أذا انفلقت عن صغار الزنابير استطاعت أن تأكل من الجدجد دون أن تميته فان لحم

الجدجد الميت يقتلها ثم تطير الأم وتموت فلا تقع عينها على صغارها أبداً ولابد أن تكون أنثى الزنابير قد أتمت كل هذا على اوفى وجه وأدقه منذ المرة الأولى وفي كل مرة، ولو لم تفعل ذلك لما كان في الدنيا زنابير. ولا يسعنا أن تعلّل هذه الأساليب الغامضة بالتكيف والملأمة بل هي ممنوحة منه سبحانه وتعالى.

١٩- في الانسان شيء اكثر من غريزة الحيوان ذلك هو قدرة العقل التي تبرهن للانسان انها لم تخلق صدفة بل خلقها خالق عظيم الشَأن وهو الله، اذ ليس في آثار الحيوان ما يدل على أن احداً منها استطاع أن يعد إلى العشرة أو أن يفهم معنى عشرة، واذا تصورت ان الغريزة لحن واحد على مزمار، لحن جميل لكنه محدود، فان دماغ البشر يحوي جميع الألحان التي تخرجها جميع آلات الموسيقي في فرقة كاملة، ولا حاجة بنا إلى التوسع في هذه المسألة، فبفضل العقل البشري نستطيع أن نتأمل في الرأي القائل باننا ما بلغنا، لأننا تلقينا قبساً من ذلك العقل الشامل.

٢٠- ان تدبير أمر الأحياء جميعاً يتجلى في ظاهرات تدركها اليوم والكن (تشارلز داروين) كان لا يدركها مثل عجائب عوامل الوراثة وهذه العوامل تبلغ من الصغر مبلغاً لاتدركه العبارة فلو جمعت العوامل التي يرجع إليه جميع البشر الأحياء في العالم اليوم ووضعتها في مكان واحد لكانت أقل من جوزة صغيرة، بيد ان هذه العوامل التي لا تكشفها عدسة المجهر وصاحباتها الصفيات (الكروموسومات) مستقرة في كل خلية حية، واليها مرد اسرار الخواص التي يتصف بها جميع البشر والحيوان والنبات.

فاعجب الخواص ألفي مليون من البشر تحشد في مكان صغير لا يزيد على حجم الموزة، غير أن الحقائق شيء لامراء فيها، فكيف اذاً- تستطيع عوامل الوراثة ان تدخر في مكان دقيق الصغر، وراثة حشود من أسلاف البشر، وتحفظ على كل فرد خصائص نفسه.

هنا يبدأ التطور حقاً- في الخلية، في الوحدة التي تنطوي على عوامل الوراثة وتحملها، أما كيف تستطيع بضعة ملايين من الذرات منطوية في عامل من عوامل الوراثة التي لا يتبينها المجهر، أن تسيطر على جملة الحياة على ظهر الارض، فمثل الحكمة الخفية والتدبير الدقيق المحكم الذي لايمكن أن ينبثق إلا من عقل خالق مبدع، وليس ثمة قرض آخر يصلح لتعليل ذلك.

٢١- ان ما نراه في الطبيعة من أساليب التدبير يقسرنا على أن نرى ان حكمة لا حدود لها هي وحدها القادرة على ان تنفذ الغيب وتدّبر الامر بمثل هذه القدرة الرشد.

٢٢- ان قدرة الانسان على ان يتصور فكرة وجود الله هي نفسها برهان فذ على وجوده تعالى.

فان هذا التصور ينبثق من قدرة علوية في الانسان، لا يشاركه فيها سائر الاحياء- هي قدرة التخيل، وبها يستطيع الانسان دون غيره من الأحياء، ان يجد الدليل على اشياء لا يراها، وان الآفاق التي تفتحها هذه القدرة أمام عينيه لهي آفاق لاحدود لها، والحق أن تخيل الانسان اذا ما دنا من مراتب الكمال، وصار حقيقة روحية، استطاع أن يتبين به من خلال دلائل النظام والقصد في الكون

تلك الحقيقة العظيمة إن قدرة السماء في كل مكان وكل شيء وان الله في كل مكان وعند كل شيء ولكنه أدنى ما يكون الينافي قلوبنا.

ان الثلوج التي تذوب على قمم الجبال تصبح جداول وانهارا متدفقة وهي في طريقها منحدرة إلى البحر، وهي تنحدر استجابة لناموس لا يرد هو ناموس الجاذبية، اما في التطور فان الحياة لم تنحدر إلى أسفل، بل ترفقت صعداً يستحثها ناموس لايرد كناموس الجاذبية، ومنذ كان العالم صعدت الحياة في هذا المعراج، فبدأت مادة لا شكل لها ومضت علواً حتى صارت انساناً له عقل وضمير.

فهل عمي العلم عن البينات التي تدل على النهج والنظام في التطور؟

كلا! فان الحياة في ترقيها المتواصل، كثيراً ما خالفت نواميس الاحتمال الثابتة، حتى لترى أشد الماديين عناداً مضطراً إلى التسليم بوجود قوة مجهولة.

ولم يكن للماديين بد من أن يطلقوا اسماً على هذه القوة المجهولة لكي يتمكنوا من ان يدخلوها في نطاق تفكيرهم.

ولما كانت جوانحهم منطوية على نفور من اسم الله سبحانه وتعالى وصفوها بقولهم (عدو المصادفة) وما داموا يعترفون بوجودها فليسموها ما شاءوا.

وقد ظلت الحياة تعمل الف مليون سنة إلى أن صار الانسان مخلوقاً مفكراً وهي خاضعة لسيطرة حافز أصيل هو حافز البقاء، ثم ظهر خلق جديد من البشر ظهر أنه خاضع لقوة جديدة- فكرة الخير والشر التي يبذلون المهج في سبيلها.

ويقول (دي نوي) ان هذه الفكرة كانت كأنما هي صوت القوة السرمدية تخاطب النفس البشرية فتقول:

«لقد بقيت حتى اليوم ولاهم لك إلا العيش والتناسل، فكنت تقتلين وتسرقين الطعام او الازواج ثن تنامين ملء الجفون بعد ان استسلمت لدواعي عرائزك ولكنك منذ اليوم ستكافحين هذه الغرائز، فحرام عليك أن تقتلي، او تسرقي، او تشتهين ما في يد سواك».

«وحرام عليك أن تنامي ملء الجفون، إلا إذا نمت لك الغلبة على نفسك، وسوف ترضين العذاب والتضحية بالحياة دون أن تتخلى عن مثلك العليا، ولن تكون أهدافك العليا منذ اليوم أن تأكلي وتعيشي، بل سوف تبصرين على الجوع والموت في سبيل اغراض نبيلة ولا يدلك من ان تكوني نبيلة، لأن ذلك هو ارادة الحي الجديد الذي انبعث فيك فعليك ان ترتضيه سيداً لك ولو قمع شهواتك».

ليس الانسان آخر مرحلة في معراج التطور، وانما هو في مرحلة متوسطة بين الماضي وما يحفل به من ذكريات الوحش، وبين المستقبل الحافل بآمال النفس.

ولن يكون تقدمنا منذ اليوم تقدماً بدنياً بل تقدماً روحانياً، وسوف يتحرر الانسان المستقبل تحرراً تاماً من البشرية المدمرة- من الاثرة والطمع وشهوة السلطان، وسوف يستمتع بملذات الجسد دون أن يكون عبداً لها. فالانسان سينطلق من أسار الجسد وينجو من رقه.

ومن الواضح أن زمام التطور في المستقبل سيكون في أيدي الاخيار من الناس، ولكن ما هو الخير، وما هو الشر؟.

أما الماديون فينكرون وجود الخير والشر.

وأما (د ي نوي) فلا يكتفي بتوكيد وجودهما، بل يسعى إلى تعريفهما ايضاً.

ان معيار المطابقة بين الحي وبيئته هو المنفعة، وأما الأحياء التي تتطور فمعيارها هو الحرية- الحرية من القيود المهلكة.

ومنذ كان التطور في مهده، كان هذا الفرق هو الامتحان للفريقين في مدارج الرقي، والأحياء التي تنشد الحرية هي الاحياء التي سارت بالحياة إلى العلى، قال (د ي نوي):

«ان التطور هو التقدم من حالة غير مستقرة إلى حالة غير مستقرة فلو لم نلق الحياة من الاحياء سوى المطابقة التامة الثابتة لهلكت».

وأهم ما في الأمر هو أن الانسان قد بدل سيده المطاع، لقد كان في البداية عبداً للنواميس الطبيعية الكيمياوية البيولوجية، أما اليوم ففي وسعه أن يفكر تفكيراً مستقلاً، وقد كان اسلافه جميعاً ممثلين مسيرين في رواية لا يفهمونها، أما اليوم فنجد الانسان يريد أن يفهم الروايا كلها.

فقد صار قادراً على أن يرقى بنفسه إلى الكمال، فأفكار الجمال التي تخطر له ورؤيا الجمال التي توّلد فيه يستطيع آن يحيلها شيئاً مجسماً بيديه، وهو يخترع ويتعلم، وصار لا يكتفي بأن تشبع شهوة من شهواته.

ومع ذلك فهو لا يزال حيواناً على الأكثر، فلذلك تراه مضطرباً محيراً.

ان صوت ضميره الوليد، يناقض الأوامر المتقادمة التي يتلقها ويلقي عليه أوامر جديدة فهل من العجب أن يثور؟ انه كالجواد الجموح يثور على الشكيمة-

بيد أنه يختلف عن الجواد في انه هو الذي فرض على نفسه وضع هذه الشكيمة، وهو مع ذلك حر ان يلبسها أو ان يدعها، ولما كانت السيطرة على النفس قائمة على حرية الاختيار بين الخير والشر فأنها تلد الكرامة البشرية، والكرامة هي هدف التطور.

ويقول (دي نوي):

ان في الوسع أن نستعجل هذا التطور بمعونة مخ الانسان- أعظم أسحلة الانسان-.

فقد قضت الحيوانات دهوراً طويلة صار لها اجنحة، بيد ان الانسان غزا رحاب الفضاء في ثلاثة أجيال.

وبفضل مخ الانسان أتسع مدى حواسنا اتساعاً لم يخطر لنا في حلم، فنحن نستطيع أن نرى المتناهي في الصغر والمتناهي في البعد جميعاً، وقد اختصرنا المسافات حتى صارت كأنها ليست شيئاً مذكوراً، وصفدنا الوقت حتى كأنه لا يتحرك.

بيد ان هذه القوة الفكرية الطبعية تزيد التبعات الملقاة على كواهلنا.

فنحن احرار في أن نمضي قدماً او ان نعود انفسنا موارد الهلاك ان كثيرين من الناس ينظرون إلى المخترعات الحديثة كأنها دلائل الحضارة الحقة، بيد أن مثلنا الأعلى ينبغي أن يكون كرامة البشر لاراحتهم واذا لم يخضع العقل للضمير، أساء الاختيار بين الخير والشر.

فالعقل يشير بالمطابقة للمألوف والملائمة والتراخي، ولن يشير بالثورة والمقاومة والتطور.

وانك لا تجد في تاريخ البشر رجلاً ذهب شهيد الرأي المتزّن ولذلك نرى الذكاء وحده خطراً، فهو وحده الذي صنع القنبلة الذرية.

واذا الناس يدركون ان ظفر العلم يهدد أمنهم وسلامهم، فصار الصراع بين الذكاء والمبادىء الأخلاقية مسألة ممات أو حياة للناس.

ومما يؤسف له ان هناك كثيرين من الناس لا يزالون يعدون الانسان حيواناً راقياً لا أكثر، ولذلك تراهم لا يتبينون سوى حلول حيوانية لمشكلات البشر.

فهم في ميدان السياسة يريدون ان يجندوا الناس ويعتبروهم كالحشرات، وقد فعل الطغاة ذلك في ارجاء واسعة من سطح الأرض، منكرين على الانسان اية قيمة او عمل يفوق عمل اليعاسيب في خلية النحل.

بيد ان ارادة تلك القوة التي يسمونها (عدو المصادقة) ثم نهج التطور العظيم، يقتضيان ان يبقى الانسان حراً لكي يتطور في مدارج الارتقاء، لا أن يسام الخسف والتسخير.

فينبغي ان تجل الشخصية البشرية، لأنها تعمل للتطور وتجري طوعاً لارادة الله.

وقد يسأل الكثيرون: «اذا كنت تؤمن بوجود الله، فكيف تراه يأذن بكل هذه الشرور التي نبعت في الأرض؟».

وهذا السؤال يدل على ان النظرية الجديدة قد اسيء فهمها ففي بدء التطور كان التقدم كله يتم بارادة الله وحده، أما اليوم فقد جعل الله للفرد اثراً في التطور، فأنه سبحانه يوم وهب الانسان ضميراً وإرادة حرة نفخ فيه من روحه.

وهذه الحرية التي وهبها الله لعباده حقيقه واقعة يتعالى الله سبحانه عن الحد منها.

واذا علمنا بأن هناك قوة عليا خلقت نواميس الحياة فينبغي ان نعلم ان هذه القوة الخالقة لم تحول دون تنفيذ هذه النواميس.

فالطبيعة ليست متهافته غير متماسكة، ولكن الانسان جاهل، ولا يزال الطريق امامه طويلاً.

ومن هنا ترى الرجل الذكي محيّراً لانه لا يستطيع ان يدرك الله الذي لا تدركه الابصار على صورة يفهمها؟.

ففي هذا العصر عصر العلم، يسهل الاقناع بدرك ذلك.

فهذا الذي يستطيع ان يتصور الألكترون؟.

وكل عالم يقول الالكترون شيء لا يمكن تصوره والا يسعك ان ترسم شكله، وليس ثمة رجل قد رآه!!.

فالألكترون الذي لا يرى موجود وان تعذر علينا ان نتصوره فما ظنك بالله الذي لاتدركه الابصار، والذي ليس كمثله شيء.

كيف يستطيع المرء من الناس ان يساهم في التصور المقبل؟.

اننـا نعـرف قـوانين الأخـلاق، وفي وسـعنا ان نلتزمهـا، وأهـم مـن هـذا اننـا نستطيع أن نعود إلى العادة القديمة، عادة تهذيب الشباب وتقويم أخلاقهم.

وكما قال الاستاذ (خلتون ارسلو):-

«فالكفاح من أجل المستقبل ينبغي أن يبدأ في المدرسة لأن التعليم سلاح مـن أسلحة التطور، ولو علم الحق جميع مـدارس الـدنيا لمـا قامـت الـدول الاساسـية الجامعة».

ونحن نرى صغارنا اليوم يحشون عقولهم بتفاصيل لا تجدي، اما الاخـلاق التي لا غنى عنها فيمرّون بها مر الكرام، فكأنك تعّلم الزراع أن يزرعوا الأزهـار دون أن تعلمهـم كيـف يحرثـون الارض، فلـم لا يفكـر أحـد في تعلـيم الخلـق للصغار؟ العالم كله ليـدرك حقـاً عظمـة المزايـا التـي تعـود عليـه يـوم يكـون اكثـر سكان الدنيا أهلا للثقة.

ان ناموس التطور، هو اليوم كما كان منذ الأزل كفاح نحو العـلى والكفـاح لم يفقد شيئاً من حدته وعنفـه، لأن ميدانـه قـد انتقـل مـن المـادة إلى الـروح. ونحـن البشر نفحه من روح الله. ونحن أحـرار في أن نهملهـا أو نخمـدها، أو أن نقـترب من عرش الله بما نبديه من رغبة في طاعة أمره.

يقول الدكتور (روبرت مليكن) الحائز جـائزة نوبـل في علـم الطبيعـة (وضـع الدكتور «لو كونت دي نوي») نصب عينيه وهو يؤلف كتاب «مصير البـشر» أن يأتي بالبراهين العلمية على زيف الفلسـفة الماديـة، ولسـت اعـرف أحـداً سـبقه إلى هذا، وما من أحد يستطيع حتى أن يحاول حمل هـذا العبـأ مـا لم يتمـرس بأحـدث

مكتشفات الرياضة والطبيعة والكيمياء وعلم الاحياء ووظائف الاعضاء.

انه رجل يبني للحق في العلم والدين. وكتابه من القوة والسداد بحيث لا يكاد يتيسر ظهور مثله اكثر من مرة او مرتين في قرن واحد.

ففي الكتاب هذا تجد عالم الأحياء (لو كونت د ي نوي) يبسط للناس ما تبينه من دواعي الايمان في ثنايا روائع التطور العضوي.

فهو واحد بجانب الكثيرين غيره من علماء الطبيعة والاحياء الذين يجدون في كل حقيقة من حقائق العلم الحديث برهاناً قاطعاً لوجوده تعالى، وسبيلاً موصلاً إلى الايمان بكونه سبحانه وتعالى وهو يرشد كل ضال إلى الاذعان بقدرته وعظمته وبأنه موجود ووجوده قبل كل وجود وسيبقى بعد الموجودات كلها اذ يفنى كل موجود وهو الحي الذي لا يموت.

وأمثال هؤلاء العلماء يحاولن اليوم عن طريق العلم والمنطق أن يثبتوا للناس ما كان مثاراً للجدل من المعاني السامية التي تاقت أليها النفوس البشرية منذ أول عهدها بالحياة.

كحرية الارادة، ومعنى الحياة، والخلود، ووجود الله سبحانه وتعالى.

فيجعلونها حقائق لا مماراة فيها.

وفي كثير من الامور الحياتية، والحوادث البديهية، أدلة واضحة لمعرفة محدث الحادثات، ومغير المتغيرات، ومقلب الأوقات، وخالق الأرضين و السماوات.

﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾.[(١)]؟

والحق فلا يمكن أن يشك بوجوده من تدبر وتفكر في كل ما يحيط به إلا من لهم قلوب لا يعقلون!.

-أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟-.

-متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟-.

-ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصلني إليك؟-.

-عميت عيت لا تراك ولا تزال عليها رقيباً!!-.

﴿أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لأُولِي الأَلْبابِ﴾.[(٢)]

﴿قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ﴾.[(٣)]

﴿وَفِي الأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ*وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ﴾.[(٤)]

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لآياتٍ لأُولِي الأَلْبابِ﴾.[(٥)]

---

(١) سورة ابراهيم: ١٠.

(٢) سورة الزمر: ٢١.

(٣) سورة الملك: ٣٠.

(٤) سورة الذاريات: ٢٠-٢١.

(٥) سورة آل عمران: ١٩٠.

بعثة الرسل

يجب على كل مسلم أن يؤمن بأن الله تعالى قد أرسل رسلاً اصطفاهم من بني آدم، وأرسلهم إلى الناس مبشرين ومنذرين ومبينين لهم ما فيه صلاحهم في معاشهم ومعادهم، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ذلك ما يجب الايمان به اجمالاً، وهناك أنبياء ذكرهم الله في كتابه الكريم يجب الايمان بهم تفصيلاً، فمن أنكر واحداً منهم فانه يكفر بالاسلام، ومنهم ثمانية عشر ذكرهم الله في آية: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ**﴾.[1]

في سورة الانعام وهم: إبراهيم، إسحاق، ويعقوب، نوح، داود، سليمان، أيوب، يوسف، موسى، هارون، زكريا، يحى، عيسى، الياس، اسماعيل، اليسع، يونس، لوط، والباقون سبعة ذكروا متفرقين في القرآن الكريم وهم: إدريس، هود، شعيب، ذو الكفل، آدم، سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

يتضح من هذا ان الرسل قد أرسلهم الله إلى عبادة، وبين لنا في كتابه الكريم بعضاً منهم ليكونوا صلة بين الانسانية وهداية السماء.

---

(١) سورة الانعام: ٨٣.

ووظيفة الرسل- عليهم السلام- من أشق أعمال البشر، لأنهم مكلفون بتبليغ الناس ما يخالف معتقداتهم وعاداتهم، ويقيدهم في شهواتهم ولذاتهم، ومن يفعل ذلك فانه لم يعرض نفسه إلى التكذيب الناس فحسب وإنما هو قد عرض نفسه لأشد الأخطار، وأعظم البلواء، فلولا تأييد الله لرسله لما قامت لهم قائمة ابداً، فالحق ان نجاح الرسول وقيام أمره وثباته معجزة واضحة الدلالة على صدقه.

ألا نرى انه لم يفلح أحد ممن ادعى الرسالة كاذباً، وكان له بين الناس منزلة السخرية والاستهزاء، فمعجزة الرسل الذاتية هي ثباتهم على دعواهم، واحتمالهم اضطهاد قومهم، ورضاؤهم بالتعذيب والآلام يكيلها لهم قومهم، وانصرافهم عن الأعراض الدنيوية ولذاتها، وغيرتهم الشديدة على مصالح الأمم، وهدايتهم من غير ان يكون لهم مطمع في جاه أو أمل في سلطان، أورغبة في شهوة، تلك هي صفات الرسل الذين تثبت رسالتهم.

أما ما عدا ذلك من خوارق العادات فقد كان لازماً للرسل عند الضرورة، لأن الله الذي ارسلهم هو خالق الخلق وقد جعل سبحانه الاسباب مرتبطة بمسبباتها فهو وحده الذي يمكنه ان يخرق ذلك النظام فيوجد السبب بدون سببه او يوجده بسببه من غير أن يظهر للناس ارتباطه به، فالله سبحانه هو الذي يخلق المعجزة مباشرة بدون واسطة، ليبين للناس صدق رسله، ويفتح لهم باب النظر فيما جاءوا به ويلفتهم إلى انهم مؤيدون من عنده، ولهذا كانت المعجزات في النوع الذي اشتهر فيه المرسل اليهم ونبغوا في معرفته.

فموسى- عليه السلام- قد جاءهم بعصاه التي تنقلب ثعباناً عند ما يريد منها، وذلك يشبه ما نبغ فيه قدماء المصريين من السحر، فلما عجز علماؤهم عن مجاراته ايقنوا ان ذلك من لدن الله القدير.

وكذلك عيسى (عليه السلام) فانه أحيا الميت لأنه قد كان للطّب شأنه في زمانه.

كذلك سيدنا محمدصَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فانه جاء بالقرآن لأن البلاغة والفصاحة كانت من صناعة العرب المعروفة.

وقد وصف القرآن الكريم اسلوب ارشادهصَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾.[1]

فارشادهصَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أشرف ارشاد عرفه العالم منذ أن ظهر في العالم المرشدون والرسل الذين كان ارشادهم عن وحي آلهي.

وقد تولى الرسولصَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الارشاد بجميع الطرق والكيفيات فأرشد بالقول، وبالفعل، وبالتصريح، والتعريض باللفظ، والكتابة، والاشارة، وفي حالتي الحصر والسفر، وفي حالي الصحة والمرض كل ذلك بنفسه.

وأرشد كذلك بالوسائط بتوجيه القضاة والمرشدين والمبلغين، والارشاد بالقول هو أهم طرق الارشاد، وفيه تظهر صفات ارشاد الرسول ومميزاته، وهو ابقى طرق الارشاد، لأن فيه الارشاد بالقرآن، وهو أنفذ كلام في الارشاد، لأنه

---

(١) سورة النحل: ١٢٥.

فاق افضل كلام العرب، وكان أدخل في نفوسهم من كل كلام بليغ حكيم لما تفرد به القرآن من غاية حسن التأليف في نسج الكلام، والتئام الكلم والفصاحة، ووجوه الوعظ والبلاغة، حتى بلغ الحد الذي أعجز فصحاء العرب، وبلغائهم، عن معارضته، مع تحديه اياهم بمعارضته في مدة غلوائهم في الكفر به، وعنادهم في قبول دعوة الاسلام، ودعاهم إلى الاتيان بسورة مثله، وأنذرهم مع ذلك بانهم غير فاعلين، فقال تعالى:-

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ*فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ﴾.(١)

فأعرضوا عن ذلك عجزاً مع ما عرفوا به من المقدرة الفائقة، وهم فرسان البلاغة، وبالاضافة إلى هذا القرآن الكريم، الذي ضرب للناس المثل الأعلى للفصاحة والبلاغة، فقد منح الله تعالى رسوله الكريم من الفصاحة والبلاغة ما هو قريب منه.

وهكذا اختص الله تعالى جميع أنبيائه عليهم السلام بالحظ الأوفر من الأخلاق الفاضلة والشجاعة، وأعدهم بأحسن عدة لهذا العمل، وآتاهم من القوة ما لم يؤت احداً أبدا.

فدعوة الأنبياء والرسل وبعثهم ما هي إلا لدعوة الخلق إلى الحق، والطلب من الناس بالخضوع لله تعالى، ونبذ ما هم عليه من العقائد الفاسدة.

---

(١) سورة البقرة: ٢٣-٢٤.

وكم من الأنبياء ما جعلوا صدورهم هذا لنبال المنية، حتى وفقوا لنيل السعادة إلى لفيف من الناس.

ولأجله يأمرنا الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ويجعلهما من أسباب الرحمة فيقول:-

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.[1]

ثم يحتم الرسول علينا أن نحبه حباً أبلغ من حبنا لأنفسنا، ويجعل ايمان المرء غير صادق إلا بهذا النوع العالي من الحب للرسول المرسل من قبل الله تعالى وكلهم سواء، أولهم آدم عليه السلام وآخرهم خاتم النبيين رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٢.

الرسول والنبي وحاجة الناس

اختلف علماء الكلام في الفرق بين الرسول والنبي، فقال بعضهم انهما متساويان في المعنى، فالرسول هو إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام، ومثله النبي، وهذا التعريف يشتمل على الأنبياء الذين جاءوا مقررين لشريعة من قبلهم، فانهم يقال لهم قد بلغوا الاحكام للقوم الذين اسلوا اليهم وان كان غيرهم قد بلغها لمن قبلهم، كيوشع عليه السلام فانه أمر بتبليغ شرع من قبله لمن ارسل اليهم.

وقول بان النبي والرسول متساويان هو قول جمهور المعتزلة وبعض المتأخرين من الأشاعرة، أما جمهور الأشاعرة فهم يقولون: ان النبي أعم من الرسول، لأنه يشترط في الرسول أن يكون صاحب كتاب أو شريعة متجددة، بخلاف النبي فأنه لا يشترط فيه ذلك، فالنبي هو الذي يوحي إليه، سواء أمر بتبليغ غيره أو لا، بخلاف الرسول، فانه لا بد فيه من التبليغ.

وقد اعترض على هذا بانه قد ورد ان عدد الرسل ثلثمائة وثلاثة عشر رسولاً، وعدد الكتب مائة وأربعة، فكيف يتفق هذا مع اشتراط أن يكون الرسول صاحب كتاب أو شريعة، إذ قد ثبت بذلك أن الرسول لا يلزم ان يكون معه كتاب، وقد يجاب بأنه لا يلزم أن يكون قد أوحى إليه بكتاب جديد، بل يصح

أن يكتفي فيه بكتاب غيره، ولكن هذا الجواب لا ينفع إلا إذا عرف بالنقل من انزل عليهم الكتب ومن عملوا يكتب غيرهم، أما مجرد الاحتمال فانه لا يكفي.

وقد روي انه عليه الصلاة والسلام سئل: كم أنزل الله من كتاب فقال: مائة وأربعة، منها على آدم عشر صحف، وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى إدريس ثلاثون صحيفة، وعلى ابراهيم عشر صحائف، وعلى موسى وعيسى وداود ومحمد عليهم السلام التوارة والانجيل والزبور والفرقان.

وبعضهم يقول: ان الرسول أعم من النبي، لأن الرسول يتناول الملك بخلاف النبي، فأنه مختص بالانسان.

وعلى أية حال من الأحوال، فالناس محتاجون في كل زمان ومكان إلى المصلحين، الذين يعملون على ما فيه سعادة الجماعة والافراد، وتلك الحاجة واضحة لا تحتاج إلى علة، إذ لو لا المصلحون لظل الناس في جهلهم يعمهون، لا يفّرقون بين الرشد والغيّ، ولا يّميزون بين الضار والنافع وليس أدل على هذا من قياس بعض الأمم التي ظهر فيها النابغون والمفكرون بالأمم التي حرمت منهم، فان آثار المفكرين، ونتائج جهود المصلحين واضحة جلية في أممهم في كل شأن من الشؤن المادية والادبية، أما الامم التي حرمت من المصلحين، ولم يقيض لها من يرشدها من المفكرين فأنها تكون منحطة في كل شيء.

فرقي الامم وانحطاطها منوطان بوجود المصلحين وعلمهم بلا نزاع، وبديهي أن غاية الانسان التي ينشدها في حياته، وامله الذي يسعى له دائماً، انما هو السعادة، فكل الافراد والجماعات لا يبغون من وراء جهودهم ولا يريدون

بنتائج أعمالهم إلا أن يكونـوا سعداء، فالسعادة هـي المقصـد الاسـمى والمطلـب الاعلى للناس أجمعين.

وهل العقل الانساني يستقل بادراك معنى السعادة من غير أن يكون لـه صـلة بالله تعالى العليم الخبير، كلا! ذلك لأن السعادة كلها في الحقيقة هي الملك الـدائم الذي لا يزول، والنعيم الخالد الذي لا يفنى.

تلك هي السعادة الحقيقة الكاملة وما عـداها مـن اللـذات الماديـة والمعنويـة، فأنه وان كان سعادة في ظاهره ولكنه مـا دام عرضـة للـزوال والفنـاء فأنـه سـعادة ناقصة، بل شبيه بالخيال والظل، لا تسكن إليه النفوس الكبـيرة، ولا تـرضى عنـه العقول السليمة.

وإذا كانت السعادة الكاملة التي هي مطمع آمال الانسان هي الملـك الـدائم، والنعيم الخالد، فانها لن تكون في هذه الحياة الدنيا، لان الدنيا وبما لهـا ومـا عليهـا فانية لا بقاء لشيء منها.

وانما السعادة الكاملة هي في الآخـرة، لانهـا هـي الباقيـة، ولا ريـب ان الحيـاة الآخرة مرتبطة بالحياة الدنيا في كثير مـن الامـور، فكـل مـا يوصـل مـن الـدنيا إلى السعادة الاخروية يسمى السعادة أيضاً.

وبـديهي ان العقـل الانسـاني مهـما أوتي مـن ذكـاء وفطنـة لا يـدرك شـيئاً مـن أحوال الآخرة، وان امكن ان يدرك شيئاً من وسـائل السـعادة الدنيويـة الموصـلة إلى السعادة الاخروية، كاعمال البر، واصـلاح حـال المجتمـع والكـف عـن إيـذاء الناس في اموالهم وأعراضهم ودمائهم، ونحو ذلك، على أنه لايمكنـه أن يسـتقل

بكثير من الواجبات التي يريدها الله من عباده كالعبادات ومقادير الزكاة، كما لا يمكنه ان يعرف بالضبط ما ينبغي أن تكون عليه المعاملات الدنيوية الموصلة إلى السعادة الاخروية ما دام لا يعرف شيئاً من أحوال الآخرة.

فالرسل هم الذين يوحي إليهم باحوال الآخرة، ليبينوها للناس ويرشدوهم إلى الوسائل الدنيوية المرتبطة بالآخرة من خير وشر، ويعلموهم ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات الموصلة للسعادة الاخروية، سواء كانت متعلقة بالله أو بعباد الله على ان الرسل كانوا في كل أمة مراجع للناس عند الحيرة، وهادين لهم إلى الصراط المستقيم، والطريق القويم في أمور الدنيا والآخرة، فحاجة الناس اليهم ضرورية لا شك فيها.

رسول الاسلام وخاتم النبيين

هو سيدنا محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بـن عبـد منـاف، بـن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لوي، بن غالب ابن فهر، بن مالـك، بـن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن الياس، بن مضر، بن نزار، بن معـد، بن عدنان، وعدنان من ولد اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام.

وامه آمنة بنـت وهـب بـن عبـد منـاف بـن زهـرة بـن كـلاب، فهـي تجتمـع في النسب مع عبد الله والد النبي في الجد الرابع وامه وأبوه من أشراف قريش نسباً، وأجلهم قدراً عليه الصلاة والسلام.

ولدة بمكة في شعب أبي طالـب يـوم الاثنـين/ ٢٢/ أو/ ٢٧/ع، وبعـد قـدوم الفيل بشهر، ومات والده وهو في بطن امه، ثم ماتت امه ولم يتكمل سـبع سـنين، وكفله جده عبد المطلب، ثم توفى جده بعد أن أوصى عليه عمـه أبـا طالـب، فقـام أبو طالب بكفالته خير قيام، وحّبب إليه رسول الله، فكان لا تقر عينـه إلا إذا رآه ضاحكاً، وبعث صلى الله عليه وآله وسلم لثمان مضين من شهر ربيع الأول سـنة إحدى وأربعين من عام الفيل، فاقام بمكة ثـلاث عشرـة سـنة عـلى المشـهور، ثـم قدم المدينة يوم الاثنين وهو والثاني من شهر ربيع الأول سـنة أربـع وخمسـين مـن

عام الفيل المشهور، ومكث بها عشر سنين وتوفى عليه الصلاة والسلام وعلى آله أجمعين وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقد فصلت الكتب ما وقع لهصلى الله عليه وآله من خوارق العادات، وما كان عليه من جمال الخلق، وكمال الخلق، وما عرف عنه من مبدأ نشأته إلى أن بعثه الله من الصدق والأمانة، ورجحان العقل، حتى انه كان معروفاً بين قومه بالصادق الأمين أحسن تفصيل، ويكفي من ذلك كله قوله تعالى فيه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[1].

ومما لا شك فيه أن من يقرأ سيرة المصطفىصلى الله عليه وآله لا يسعه إلا أن يجزم بأنه رسول من عند الله حقاً أرسله الله تعالى للناس أجمعين، ولا ينكر ذلك إلا مكابر عرف الحق ثم جحده.

أو جاهل بطبائع العالم غافل عن الحد الذي يمكن للقوة البشرية أن تصل إليه من الرقي العقلي، فلنذكر كرهنا نبذة من ذلك ليعلم الجاحدون أنه رسول من عند الله حقاً ويزداد الذين آمنوا إيماناً.

نشأصلى الله عليه وآله بين قوم تكاد فوضى الأخلاق بينهم أن تكون شاملة، فقد كانوا فوضى في معاملتهم، فوضى في عقائدهم فوضى في كل أمر من امورهم.

أما معاملاتهم: فقد كانت تغلب عليهم فيها الاباحة، إذ كان قويهم يغير على ضعيفهم، فيسبي نساءه، ويسلبه ماله، ولا يبالي بقتله في سبيل شهوته، ولا

---

(١) سورة القلم: ٤.

يستحي من هتك عرضه ما دام قادراً على ذلك، فلم يكن لهم قانون يرجعون إليه، ولاحكام يخضعون له، اللهم إلا من كانوا يدينون له بميزة يقدسونها فيه كالكرم أو قوة العصبية، كما كانوا يفعلون مع بعض أجداد النبيﷺ كهاشم بن عبد المطلب، فانهم كانوا يعاملونهم معاملة الملوك والأمراء، لما لهم من الكرم، وعلو الهمة، والاباء.

وقد كانت لهم مجالس سمر يتناشدون فيها الأشعار، ويتفاخرون فيها بما يتاح لهم من السلب، والنهب، والغارات، ونحو ذلك مما لا يليق.

وأما أخلاقهم: فان العرب وإن كانوا قد امتازوا بكثير من الصفات الكريمة مثل: الشجاعة، والاباء، والمحافظة على حقوق الجوار، والكرم، والنجدة، والصدق، والوفاء: وغير ذلك، ولكن الفوضى التي كانوا عليها بسبب الجهل، قد ذهبت بمحاسن تلك الصفات، وقضت على آثارها.

روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال: إذا سّرك أن تعرف ما كان عليه العرب قبل الإسلام. فاقرأ قوله تعالى: ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾.[1]

ولاريب أن الجهل الذي يقضي بالانسان إلى أن يقتل أبناءه لمجرد توهم الفقر لهو من شر ما مني به النوع الانساني لايتردد لحظة في الحكم على من يفعل ذلك بأنه شر من الحيوان المفترس الذي لا يقتل ابنه ولو مات جوعاً.

(١) سورة الانعام: ١٤٠.

ذلك بعض ما كان عليه العرب قبل الاسلام، ومما لا شك فيه أن ذلك يرجع إلى الجهل، فان الأمية كانت تغلب عليهم، ولم يكن لديهم علوم تربي مداركهم وترشدهم إلى سبيل الحكمة والصواب، اللهم إلا ما كسبوه بالتجارب وورثوه بحكم العادة، على انهم قد امتازوا بشيء واحد وصلوا إلى ذروته، وانتهوا إلى غايته، وهو البلاغة في القول، والفصاحة في المنطق، فأنهم قد ملكوا زمام الفصاحة والبلاغة، فلم يكن قبلهم ولا بعدهم افصح منهم، خصوصاً قريشاً فأنها كانت افصح العرب قولاً، وابلغهم منطقاً.

لم يكن الرسول ذا مال، وكذلك عمه ابو طالب، فانه مع كونه من أشراف قريش لم يكن ذا مال كثير أيضاً، فكان حالته المالية ﷺ سيئة من جميع الجهات.

فقد نشأ يتيماً لا اب ولا ام كما ذكر، فقيراً لا مال له، وربي بين قوم فوضى الاخلاق والعقائد، سائدة بينهم.

ولم تكن لهم معاهد علمية يتلقون فيها العلوم التي تهذب اخلاقهم، وتثقف عقولهم، ولم يكن بينهم علماء يعلمونهم ما لهم وما عليهم، وكل ذلك ثابت بالتواتر الذي لاشك فيه، ولقد ذكر القرآن شيئاً كثيراً منه وإذا كان ذلك فمن ذا الذي عصم ذلك النبي الأمي اليتيم الفقير من اخلاق قومه الفاسدة، ونجاة من صفات اهل بيئته الذميمة وعصمه من ان يدين بدين قومه، ومن علمه ذلك العلم الذي ترتب عليه إنقلاب عام في جميع العالم في العقائد، والشرائع والأخلاق.

من علمه فلسفة الشرائع والأحكام، فجاء من ذلك بما ادهش العقول وحير ذوي الألباب؟.

ومن علمه قوانين الاجتماع وفلسفة التأريخ، فأتى من ذلك بما لايستطيع احد ان ينقض قضية واحد من قضاياه؟.

من علمه نظام العمران؟ ومكارم الأخلاق؟ فوضع لها اساساً لا يزال العلماء والباحثون يبنون عليه آراءهم في كل زمان ومكان؟.

من علمه ذلك القرآن الذي اعجز جميع البلغاء والعظماء؟ فلم يستطيعوا ان يأتوا بشيء من مثله؟. لاشك ان الذي علمه ذلك هو الآله العلم الخبير.

إذ لايعقل ان ينجو الانسان من اخلاق بيئته من مبدأ نشأته، فاذا امكن للعقل ان يتصور إنساناً استطاع ان ينجو من اخلاق اهله وبيئته فذلك إنما يكون بعد ان يبلغ اشده، ويتصل بمن يحرره ويهديه، اما ان إنساناً ينشأ كذلك منذ نعومة اظافره، فهو الذي فوق الفهم والادراك.

وكذلك لايعقل ان يوجد شخص عليم بعلوم الأولين والآخرين وهو امي وليس في زمانه علم ولاعلماء.

فذلك دليل قاطع على صلته باله قدير، ادّبه احسن الأدب وعلمه احسن تعليم.

ولقد هال المشركين ذلك الأمر، وادهشهم ما فاجأهم به رسول الله فاجتمعوا مرة عند الوليد بن المغيرة. وكان اعلمهم بأشعار العرب واخذوا يفكرون فيما عساه ان يطعنوا به على ذلك الرسول.

فقال بعضهم: نقول انه كاذب، فقال الويد: هل كذب محمد قط؟ فقالوا: نقول عنه كاهن، فقال: هل راءيتموه قط يتكهن؟ فقال: نقول عنه انه شاعر، فقال: هل راءيتموه قط يتعاطى شعراً ؟ثم قال لهم: والله إنني قد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن!!.

إنّ له حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن اعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق، وانه يعلو ولا يعلى وانه ليحطم ما تحته، وكان قد سمع أول سورة نزلت، وكاد يسلم لولا تأثير أبي لهب عليه فأنه قال له ان الناس يزعمون انك اصبت بالفقر وان محمداً يجمع لك مالاً فغلبت عليه حمية الجاهلية، وغلبت عليه شقوته، ففكر ثم فكر، وعبس وبسر، وقال لهم قولوا عنه أنه ساحر، وفي ذلك نزل قوله تعالى:-

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ*فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ*ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ*ثُمَّ نَظَرَ*ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ*ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ*فَقَالَ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾.(١)

إِنْ فتصور كيف أن أشد أعدائه وأكبر معارضيه لم يجدوا مطعناً يطعنون به عليه سوى أنهم قالوا انه ساحر، وهذا سلاح العاجز الذي ينكر حقائق الأشياء عناداً، ويزعم انها خيال وأوهام، ولو أمكنهم أن يطعنوا فيه بشيء معقول سوى ذلك لما تأخروا عنه لحظة واحدة، إذ قد كان شغفهم بالقضاء على رسول الله وتفنيد ما جاء به شديداً.

وقد دفع ذلك بعضهم إلى تلمس الشبهة التافهة ليطعنوا بها على رسول الله من أي جهة كانت، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى بقوله:

---

(١) سورة المدثر: ١٨-٢٤.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.(١)

وهذا المعلم هو- كما روي عن ابن عباس- غلام رومي لبعض قريش بمكة يقال له (بلعام) كان يعلمه رسول الله الاسلام فأفضى بهم التعصب والعناد إلى قلب الحقيقة.

فقالوا ان ذلك الغلام هو الذي يعلم الرسول، وتلك سخافة واضحة، لأن المعلم كان أولى بتلك الدعوة الكبيرة من المتعلم، فما الذي حدا بذلك المعلم المسكين إلى أن يعلم غيره الحكمة والفضيلة، ولاينسب شيئاً من ذلك لنفسه.

ويكفي الرد على زعمهم هذا قوله تعالى: ﴿لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.(٢)

لأن ذلك الغلام الرومي أعجمي الأصل فكيف يستطيع أن يأتي بالقرآن العربي مع أنهم هم من أفصح الناس منطقاً وقد عجزوا عن الاتيان بشيء من مثله، لاشك ان ذلك إدعاء سخيف، وقول هراء.

ولقد أشار سبحانه إلى سخافتهم هذه بقوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾.(٣)

---

(١) سورة النحل: ١٠٣.
(٢) سورة النحل: ١٠٣.
(٣) سورة الدخان: ١٤

أي قالوا: انما يعلمه ذلك الغلام الرومي وانه مجنون والله يعلم أنهم هـم أشـد الناس سخافة وجنوناً، وان فتتانهم بعقائدهم الفاسدة، وتعصبهم للفوضى هـو الذي أضلهم وأعمى بصائرهم وأبصارهم.

ومعنى قوله تعالى: ﴿لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ان منطق الـذي، أو تكلـم الـذي ينسبون إليه تعليم الرسـول فيميلـون قـولهم هـذا عـن الاستقامة أعجمي، فاللسان معناه التكلم، ويصح أن يكـون باقيـاً عـلى حقيقته ويلحـدون يميلـون لأن الالحـاد معنـاه الامالـة (ومنـه قـولهم: فـلا ملحـد أمـال مذهبـه عـن الأديان).

ولاريب في أن قول الوليد الـذي سبق ذكـره في وصـف القـرآن الكـريم مـن أوضح الدلائل، على أن القرآن معجز للبشر، وانـه قـد بلـغ في بلاغتـه وفصـاحته مرتبة لا يستطيع أحد أن يدنو إليها، لأن الوليد هو أعلم العرب بمواقـع الكلـم، نثراً ونظماً، وأقدرهم على تميز القول الجيّد من الردىء، وقـد وصـف القـرآن بأنـه ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وانه يعلـو ولا يعـلى، فـلا بـد أن يكـون حينئذ كلام إله قادر عليم خبير.

وهكذا شأن كل من كان يسمع كلام الله من العرب، ويتدبر معانيه فانه كـان لايرتاب قط في كونه معجزاً للبشر أجمعين.

فالقرآن هو المعجـزة الكـبرى التـي هـدى الله بهـا كثـيراً مـن أسـاطين العـرب وبلغائهم، فقد كان الاصغاء لسماع ما تيسر من كاف للاذعان له والانقيـاد لـدين الله الصحيحن وهجر بقية العبادات.

ومن ذلك ما وقع للصحابي المشهور أبي ذر الغفاري (رضوان الله عليه) فأنه اسلم بمجرد سماع بعض آيات القرآن من النبيﷺ وكذلك غيره.

ولهذا كان بعضهم ينصح بعدم الاصغاء للقرآن، والبعد عن سماعه كي لايتأثر سامعه ببلاغته، فأنهم هم أهل البلاغة، وأقدر الناس على إدراك معاني الكلام وتقديره حق قدره، فكانوا يتأثرون بمجرد سماعه.

وكذلك معجزات الرسل- عليهم الصلاة والسلام- فانها تكون من نوع ما نبغ فيه أهل زمانهم، كما مر ذكرها.

على أن القرآن معجزة قائمة لا تفنى على ممر الدهور والأزمان، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾.[1]

فان بلاغته، وفصاحته، ومتانة أسلوبه، وأحكام مبانيه، وجمال معانيه، ودقة تراكيبه، وإشتماله على كل ما فيه سعادة الانسان وخيره، جعلته حجة الله القاطعة وآياته الناطقة، وبرهانه الدائم، ونوره الساطع، أنزله الله هدى ورحمةً للعالمين.

ولو اجتمع البلغاء جميعاً على أن يذكروا مناقبه، ويبينوا عجائبه، وبشرحوا أسراره، لما استطاعوا أن ينتهوا في ذلك إلى غاية، أو يقفوا على نهاية، فان عجائب كتاب الله لا تفنى، كما قالﷺ: واسرار معانيه لا تستقصى.

فمن استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ومن حاد عنه فقد ضلّ سواء السبيل. ألا يرى أن المسلمين في مبدأ أمرهم كانوا من أرق الأمم

---

(١) سورة الحجر: ٩.

سعادة ومجداً، وأعزها مكانة وقدراً؟.

وما ذاك إلا لأنهم كانوا بالقرآن مستمسكين، وبآدابه متأدبين، فخضعت لهم رقاب القياصرة، وذّلت لسطوتهم جباه الأكاسرة.

وكانوا سادة الدنيا، وعنوان الشوق والفضيلة، ومكارم الأخلاق فلما غلبت الأهواء على زعماء المسلمين، وتركوا نصائح القرآن وراءهم ظهرياً، وصلوا إلى ما هم عليه من سوء الحال. فنسأل الله تعالى ان يلهم المسلمين رشداً، ويوفقهم إلى التأدب بآداب كتابهم الكريم، الذي لم يترك فضيلة من الفضائل إلا حثّ عليها وامر بها، ولم يذر رذيلة من الرذائل إلا نهى عنها، ونعى عليها، ويكفي من ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ**﴾.(١)

وكفى بما ذكر هذا الرسول الكريم، والنبي العظيم، وبالقرآن الكريم، معجزة تدل انه رسول من عند الله حقاً، وهو خاتم النبيين، وان كل ما جاء به وبلغه عن ربه صدق لا يرتاب فيه عاقل منصف يدرك طبائع الأشياء، ويعرف ما يمكن ان تنتهي إليه العقول البشرية.

أليس هو ذلك اليتيم الفقير الذي نشأ في تلك البيئة التي وصفناها وكل اهل زمانه اعداء له، لا ناصر له منهم، حتى ان ابا طالب الذي كان يناصره مات وتركه لهم، فأصبح مضطهداً من جميع جهاته، يتآمر عليه اعداؤه، ويتربصون به

---

(١) سورة النحل: ٩٠.

الدوائر للقضاء على حياته، وهو يصبر على كل ما يصيبه من بلـواء، ويحتمـل كـل ما يلاقيه من ضر وايذاء، ويجاهد بنفسه منفرداً في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، كـما امره بقوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾.[1]

وقوله: ﴿**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾.[2]

أليس هو ذلك الاميّ المضطهد من قومه وعشيرته، قريبهم وبعيـدهم غنـيهم وفقيرهم، حتى النسـاء والصـبيان والعبيـد، فـانهم كـانوا يغـرونهم بـه فيرشـقونه بالأحجار كلما مرّ ومضى، ومع ذلـك هـو راض بكـل اضـطهاد وتعـذيب، قريـر العين بكل ما يصيبه من ايذاء وتشديد، لا مطمع له إلا هداية الناس وارشادهم، ولا غرض له إلا إخراجهم من الظلمات إلى النور.

ألـيس هـو ذلـك الرجـل الـذي عـرض عليـه اعـداؤه ان يبـايعوه بالملـك وان يشاطروه جميع اموالهم في نظير ان يكف عـن الـدعوة الى الله ويسـايرهم في عبـادة اوثانهم، فرفض ذلك بتاتاً وقال لعمه ابي طال:- «والله ياعم لو وضعوا الشـمس في يميني والقمر في يساري ما تنازلت عن هـذا الأمـر حتى يظهـره الله أو اهلـك فيه».

أليس في هذه دلالة قاطعة على صلته برب السماء، وإلا فما هي غايـة الانسـان في حياتـه الـدنيا سـوى الملـك والمـال؟! وقـد عرضـنا عليـه بالحـاح فأبـت نفسـه الكريمة ذلك بتاتاً.

---

(١) سورة الحجر: ٩٤.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

أليس من الانصاف الاذعان لهذا الأمي بانه رسول من عند الله، وخاتم النبيين، بعد ان قلب نظام العالم في الشرائع والعقائد والأخلاق، وهو فرد نشأ بين اعداء يحدقون به من جميع جهاته.

أليس من الانصاف الايمان بأنه رسول الله، وخاتم انبيائه، وقد جاء القرآن الكريم الذي اعجز البلغاء والفصحاء جميعهم، ومع ذلك لم يدع منه لنفسه كلمة واحدة، بل قال انه جميعه من عند ربه، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقاوِيلِ*لأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ*ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ**﴾.[١]

ولقد بلغ ذلك القرآن عن ربه بكل امانة وصدق، مع ان في بعضه عبثاً عليه، او مؤاخذة له، وليس من المألوف ان يعنف الانسان نفسه، ويظهر امام الملأ بمظهر المخطىء من غير ضرورة تلجئه إلى ذلك.

أليس من الانصاف والتصديق برسالة محمدﷺ وقد ظل دينه محفوظاً، وقرآنه باقياً لاياأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قروناً عديدة مع وجود اعداءه العاملين على هدمه وهدم دينه من الداخل والخارج، إلا ان ذلك ليس في طاقة البشر ان يأتي به وحده، بل لابد فيه من تأييد إله قادر لا يعجزه عن شيء في الارض ولا في السماء.

أليس من المحتم الاذعان بأن محمدﷺ هو صاحب الرسالة الكبرى والدين القويم والشريعة المستقيمة التي هي خلاصة الأديان التي استدانت بها الأرضون منذ بدء السماوات والأرض، والتي ستكون الديانة الوحيدة التي

(١) سورة الحاقة: ٤٤-٤٦.

تلائم طبيعة هذه البشرية الى الأبد.

وقد رفع شأن العرب من تلك الجهالة الجهلاء، إلى تلك العظمة التي جعل الغرب يعترف حتى اليوم بمجدهم التليد ببركة وجود نبيهم الأكرم محمدﷺ.

فهذا هو المصور الفرنسي المشهور (رينول) يقول: (لله درك يا محمد!- انت العظيم الاوحد!- اما انت اوحيت لاتباعك هذا الفن الساحر! واني اشهد بأننا فنّاني اليوم نعد برابرةً ووحوشاً، او بهائم ممسوخة اذا قابلنا فننا بفن العرب، وآثارهم الخالدة). وهذا (الكونت هنري ديكستري) يقول:-

(ان بعثة محمد أحدثت انقلاباً كلياً في النوع البشري).

ومما يقوله: (برناردشو) الانجليزي:- (انني اعتقد ان رجلاً كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم لّتمّ النجاح في حكمه، ولقاده إلى الخير، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة).

واما المؤرخ والفيلسوف الانجليزي المشهور «توماس كارليل». فيقول-:

(اي شيء أكبر دلالة على صدق من يدّعي لك انه بناء من ان يبني بيدين داراً تقاوم العوادي اكثر من الف ومائتي سنة.

وتسع نحو مائتي مليون من الناس، كذلك لا شيء اكبر دلالة على نبوة محمد من ان يؤسس ديانة تجد فيها نحو مائتي مليون من الأنفس غذاؤها الروحاني وتقاوم عوامل التحليل اكثر من اثنى عشر قرناً).

فهذا هو النبي حقاً، والذي يجب أن يذعن له العالم بأجمعه، ويعترف بنبوته، حيث لا يسمح له الدهر بمثيل، ولا يأتي له بنظير.

فجد النبي نوح عليه السلام وهو اكبر الانبياء وشيخهم، فقد حمل مشعل الهداية عشرات قرون طوال، وما كانت العاقبة إلا الطوفان والهلاك.

وهذا هو خاتم الرسل، وسيد الانبياء والمرسلين حقاً، فقد ملأ العالم والأكوان علماً، ونوراً، وهدىً، وبهجة، وسروراً، خلال ربع قرن فقط، وفتح ابواباً للخير على الآدميين لم تكن مفتوحة من قبل بل موصدة عليهم، ولا يزال العالم في جهل عما اظهره اليهم من علم، وفي ظلمات عما انزله اليهم من نور.

ففي كل يوم يجد العالم في الاشياء المحيطة به دليلاً قاطعاً، وبرهاناً ساطعاً، وحجة بليغة على نبوته، وصحة رسالته، وعظمة شريعته.

وما اعظم الآثار التي خلدها لنفسه في هذا الوجود، فما رحل من هذه الدنيا إلا والمهتدون بأنواره، المؤمنون بشريعته، السالكون سبيله، يعّدون بالملاين، وما تمر الايام حتى يزيدون دون ان ينقصون ويتقوون دون ان يضعفون!!.

افليس هذا كله دليل على نبوته، وعظمة شخصيته التي توجب على العالم الخضوع لأوامره، والاتباع لسننه؟.

فلم يرسله الله تعالى إلا رحمة للعالمين.

القرآن حجة الله البالغة

بقي القرآن وهو المعجزة الوحيدة الخالدة حتى الآن، بعد أن مرت المعجزات كلها، لأنه من عند الله، وليس من عند الإنسان.

والمعجزات هي براهين الأديان، والأديان لا تكون شيئاً إن لم تكن من عند الله، ويقوم البرهان الساطع على انها من عنده.

فصدورها من الله ضمان هدايتها الانسانية في كل الظروف ما أطاعتها الانسانية.

ووضوح البرهان على انها من عند الله ضمان استيقان الانسان إياها وطاعته لها، وسواء أكان الدين خاصاً بأمه أم عاماً للبشر، فالبرهان عليه ينبغي أن يكون عاماً يخضع له كل عقل لا خاصاً تخضع له بعض العقول ولايفي بهذا الشرط في البرهان على الدين الحق انه من عند الله إلا المعجزات.

والانسانية الآن في حاجة إلى دين تخرج به من ورطاتها، بعد أن كادت تهلك حين نسيت الدين.

ولو أرادت البحث بعقلية علمية عن دين الفطرة، فليس أمامها إلا أن تنظر في الأديان كظاهرة كونية.

وفي الحق إنها ظاهرة من أكبر الظواهر الواقعية، وأعظمها مظهراً وأثراً في الحياة الانسان، والواقع هو موضوع الدراسات العلمية، أو هو موضوع العلم الطبيعي بشرط الا يكون لهوى الانسان دخل فيه.

لأن الهوى والحق قل ما يجتمعان، لذلك لم يجعل للتاريخ مجالاً لبحثه، لأن الاهواء من عوامل التاريخ.

لكن هناك ظاهرة تاريخيه هي أهم ظواهر التاريخ، وأشبهها بالظواهر الطبيعية التي ليس للانسان عليها سلطان، وان جرت على أفراد من الناس تلك هي ظاهرة النبوة وظهور الانبياء.

فيظهر في الناس احدهم على غير أعداد منهم يتجرد من كل ما يشغل الناس من إقبال على الدنيا واستمتاع بها جاعلاً شغله الشاغل دعوة قومه إلى فاطر الفطرة وخالق الناس.

ثم لا يدعوهم من عنده فيلتبس عليهم بالفلاسفة والحكماء الذين يكثرون في بعض العصور، ولا يكاد يخلو منهم عصر، ولكن يدعوهم باسم الله الذي خلقهم مؤكداً لهم انه مرسل اليهم من عند الله برسالة ليس فيها إلا التبليغ.

وسواء آمن به كثير ، أوآمن به قليل، فانه يعمل في جميع الاحوال بما يدعو اليه من دين، مهما شق العمل به على الناس.

فهو يطلع على الناس طلوع نجم او قمر أو شمس أو مذنب يجري مجراه، ولا يحيد عن مسراه.

فهي من ناحية ظاهرة واحدة متجددة، فالنبي أشبه بالنبي من النجم إلى النجم.

وتصحب النبوة والرسالة عادة ظاهرة اخرى هي اشبه بما يشغل به العلم من الظواهر نسميها بمعجزة، ويسميها القرآن آية، وهي دليل دعوى النبي أو الرسول انه نبي الله ورسوله. وهي حجة الله على من شهدها أو تواتر سماعه بها عمن شهدها.

والمعجزات تشبه ظواهر الفطرة في انها مما لا يقدر عليه الانسان.

والعلم أسرع إلى التسليم بمثل هذا الدليل أن ثبت لديه فروعه، لأن العلم اعرف وأبصر بعجز الانسان عن خرق عادة الفطرة، وسننها في الكون.

وإذا قدر ان يبحث العلم الاديان عن طريق بحث ظاهرة النبوة، فيسجد أن العقبة في سبيله هي ان معجزتها قد مرت وانقضت، فهو لا يجد سبيلاً إلى بحث شيء منها إلا معجزة واحدة لرسول واحد على دين واحد إلا القرآن معجزة الاسلام على يد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.

لقد ذهبت المعجزات كلها وبقي، وتغيرت الكتب وحرفت، ولم يتغير هو ولم يتحرف. فلو قدر للانسانية ان تفحص الاديان بعقلية علمية لما وجدت غير الاسلام ديناً يثبت للفحص العلمي.

إذ ليس غير الاسلام دين بقيت معجزته إلى اليوم وتبقى إلى ما شاء الله لتكون موضوع بحث وامتحان، وليهتدي البشر بفحصها إلى الله، وليعلموا عن طريقها ان الاسلام هو دين الله، فاطر الفطرة، وخالق الناس.

جعل كتابه عين معجزته، ومعجزته عين كتابه، ليكون حفظ الدين وحفظ وحفظ معجزته أمراً واحداً سواء، ولتدوم حجة الله على الناس.

ليت في علماء الاسلام جماعات تلقوا صنوف العلم الطبيعي وتمكنوا من علوم القرآن ليجلوا للانسانية القرآن على النمط العلمي الذي هو من نمط النظر القرآني وفيه للانسانية في هذا العصر العلمي مقنع.

يعرف المستر (ر.ف. بودلي) القرآن في كتابه (الرسول حياة محمد) قائلا:-

(القرآن كتاب جليل يعكس صورة محمد. بل انه محمد في الواقع، وعلى الرغم من ذلك فهناك قليلون من غير المسلمين ودارسي الاسلام من عندهم أية فكرة عن ماهية القرآن، فعلى الرغم من وجود تراجم له عديدة جيدة بالفرنسية والانكليزية والآلمانية، فمن النادر ان تجد غربياً قد قرأه فقد سمعت بعضهم يتحدثون عنه على اعتبار انه تاريخ محمد، أو أنه مجموعة من الحكم من نوع حكم (كونغوشيوس)، أو على انه مجموعة قوانين محمد أو على أنه تأويل للكتاب المقدس، والظاهر انه حتى أن مؤرخي محمد قد تجنبوا التحليل أو الشرح المختصر لهذا العمل الذي عليه قام الاسلام جميعه).

فالقرآن الكريم حجة الله البالغة على عباده، والانسانية كلها مخاطبة به، مطالبة بالتسليم له، انه كلام الله، ليس لآدمي فيه كلمة ولا حرف.

ولا بد أن يتضح أعجاز القرآن لكل انسان، لتلزمه حجة الله إن هو ابى الاسلام.

ومعجزة القرآن ليست من تلك الناحية التي يتوقف تقديرها، والتسليم بها على معرفة لغة لا تتيسر معرفتها لكل أحد.

وتلك الناحية الاعجازية هي الناحية العلمية من القرآن.

فالناحية العلمية من القرآن تشمل ما عدا الناحية البلاغية، الناحية النفسية وكيف اقتاد القرآن النفس، ويقودها طبق قوانين فطرتها.

وتشمل الناحية التشريعية وكيف نزلت أحكام القرآن طبق قوانين الفطرة للأفراد والجماعات.

وتشمل من الناحية التاريخية التي لم يكن يعلمها البشر عند نزول ما اتصل بها من آيات، ثم كشف عنها التنقيب الأثري بعد.

وتشمل الناحية الكونية ناحية ما فطر الله عيله غير الانسان من الكائنات في الأرض، وبما فطر عليه الأرض وغير الأرض في الكون.

هذه الأنواع من المعاجز تعجز الالحاد أن يجد موضعاً للتشكيك فيه إلا أن يتبرأ من العقل. فان الحقيقة العلمية التي لم تعرفها الانسانية إلا في القرن التاسع عشر أو العشرين مثلاً ، والتي ذكرها القرآن، لابد أن تقوم عند كل ذي عقل دليلاً محسوساً على أن خالق الحقيقة هو منزل القرآن.

فلو تأملنا مثلاً في الآية الكريمة في أول سورة من القرآن ﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾.[1]

---

(١) سورة الفاتحة: ٢.

ولنقتصر من ذلك ما يتمثل من كلمة (العالمين) ولا شك انها كلمة فاجأت العرب من ناحيتين على الأقل:-

ناحية الجمع، و: ناحية تذكير الجمع.

فالعرب لم يكونوا يعرفون إلا عالماً واحداً، هو الذي كانوا يعيشون فيه.

والناس إلى اليوم لا يتحدثون إلا عن عالم واحد، هو هذا الذي تبصره ونعيش فيه.

والتمس الناس تلك العوالم المتعددة، فقالوا هي عوامل الانس والجن والملائكة، وقالوا هي عوالم الحيوان والنبات والجماد.

ولكن ليس كل ذلك بمعوف بمعنى ذلك اللفظن لفظ (العالمين) انه جمع معرف لا جمع منكر.

فاذا قيل العالم لم تفهم إلا عالماً واحداً، هو هذا الشامل لكل ما يرى من ارض وسماء.

وإذا أخذنا بحرفية اللفظ في الفهم طبق قاعدتنا الأولى، كان عالمنا هذا فرداً من أفراده، وعالماً من عوالمه مثله.

فأين هذا المعنى؟ في أي كتاب؟ بأي لسان قبل القرآن؟.

جاء علم الفلك الحديث بمراقبه ومراصده وتحليلاته الرياضية وغير الرياضية، فبين أن المجموعة الشمسية التي نحن فيها ومنها ليست في هذا العالم المجري شيئاً مذكوراً، وبين أن هناك عوالم مجربة اخرى مترامية المطارح تعد لا بالمئات ولا بالألوف ولكن بالملائيين؟!!.

ولكن العلم لم يهتد إلى الآن في العوالم المجرية الاخرى إلى أرض كأرضنا وان اهتدى إلى أن في كل عالم مجري آلافاً مؤلفة وملايين من الشموس.

فما بلغ ما وصل إليه العلم الحديث في شأن هذا السر العظيم الذي أشار إليه الخالق سبحانه بكلمة (رب العالمين) سر وجود الحياة في أرض غير أرضنا، وفي عالم كعالمنا؟.

كل ما وصل إليه من هذا أن وجود الحياة على غير كوكبنا هذا أمر ممكن، بل أمر راجح.

وفي فصل (الحياة في العوالم الأخرى) من كتاب «عوالم لا نهاية لها» للفلكي الانكليزي (هـ. سبنسر جونز) ما يوضح للانسان وجهة العلماء في هذا الأمر.

وبالاضافة إلى هذه النواحي العلمية التي تطرقها القرآن الكريم ففيه من الآداب والوصايا كالعدل، والوفاء بالعهد، والاحسان، والصدق والصبر، والعفو، وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

فالقرآن الكريم كنز من الأخلاق لا يفنى.

والقرآن الكريم نبع للفضائل لا ينضب.

وليت المسلمين أو العالم قاطبة يرجعون إليه ليثبتوا سننه، ويتخلقوا بأخلاقه، ويتأدبوا بآدابه، لتكون لهم عصمة في هذا العصر المفتون، وقبساً وعزّاً من هذا الذل، واجتماعاً من هذه الفرقة، وعلماً من هذه الجهالات، وهدى من هذه الضلالات، ولتكون لهم بعد الشقاء سعادة، وبعد الشدة رخاءً، وبعد العسر يسراً.

إن كتاب الله الكريم هذا يدعوا إلى اخلاق تسعد الناس في معارك الحياة وترشدهم في فتنتها، وتوفي بهم على الغاية التي أرداها الله لخلقه.

الأخلاق التي يحيا بها موتى الشقاء لا التي يموت بها الأحياء.

وان فيها لسعادة الفرد والجماعة وسعادة الناس كافة، وإن فيها لنجاة للعالم من كوارثه وخلاصه من مهالكه.

وإنما هي السلام في نفس الفرد، وفي جماعة الأسرة، وفي نظام الأمة، وفي مجتمع البشر.

وهل هي إلا تخليص النفوس من ضلالتها، وتطهيرها من أرجاسها وابراؤها من أهوائها، ثم حكمها بعدل الله الذي يبصر بالواجب كما يبصر بالحق ويدعو إلى العطاء كما يدعو إلى الأخذ، وينزل الناس على حكم الانصاف المؤلف للقلوب، والالفة المعينة على الخطوب، والتعاون الذي يذلل الصعاب ويبلغ المقاصد، وينيل المطالب.

ثم اقامة الجماعة في نظام جامع من الانصاف والألفة والمودة والتعاون ليرد عداوتهم محبة، وحربهم سلاماً، وظلمهم عدلاً، وجشعهم قناعة، ويجمع القلوب والعقول والأيدي على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان.

فالقرآن الكريم هذا يدعو إلى هذه المقاصد.

فلم لا يهتدي المسلمون بها لتهدي الأمم بهم؟.

ولم لا يلجأ المسلمون اليها ليكونوا لها حجة قائمة واليها دعوة صادقة؟

﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.[1]

ويقول الله تعالى:-

﴿وَنُنَـزِّلُ مِـنَ الْقُـرْآنِ مـا هُـوَ شِـفاءٌ وَرَحْمَـةٌ لِلْمُـؤْمِنِينَ وَلا يَزِيـدُ الظَّـالِمِينَ إِلاَّ خَساراً﴾.[2]

فأخلاق القرآن هي السنن التي تنظم العالم والوشائج التي تجمع الانسانية والأسطر التي تؤلف بين كلمات البشرية.

فليتمسك رائد والسلام والطمأنينة في الحياة، ومنشدو الحرية والمساواة، وطالبي السعادة والمؤاخات بهذا الدستور السماوي الذي يكفل لهم بكل ما يرومونه في معترك هذه الحياة إن كانوا حقاً يدّعون وصدقاً يقولون وليست في نفوسهم من الأغراض الشخصية، والمطامع الفردية، ولا يريدون أن يجعلوا من مذاهبهم وآرائهم، معولاً يهدمون به صميم الانسانية، ويمزقون به أحشاء البشرية.

ولا بد لمن ألم بنبذة تأريخية مختصرة في حركة الفكر البشري وتحريره وفيما كانت عليه الأمم الكبرى في طائفة من القرون التي سبقت ظهور الاسلام من التطورات، وما تعاقبت على العقول فيها من المد والجزر والتحرير والاستبعاد من الاعتراف والاذعان بما للقرآن الكريم وتعاليمه من الأثر الفعال في العقل الانساني، واحلاله المقام الذي خوله خالقه منذ أن خلقه.

---

(١) سورة الاسراء: ٩.
(٢) سورة الاسراء: ٨٢.

فهكذا نجد أن القرآن حرر النفوس المغلولة بأوامره القدسية، وأنجس البشرية من معاثر الجهالة، وسار بالعقل الانساني في سبيل الحرية وحل بها من المنازل العالية.

وأوصل الانسان إلى المقامات السامية من العلم والحرية والمساوات والعدالة.

وأكمل للبشرية سائر الفضائل الكمالية، لأنه جاء بدين الفطرة، وبناموس الطبيعة في كل شيء، فطابقت قواعده أحكامه وأصول آدابه وشرائعه مقتضيات الطبيعة الانسانية.

ولم يأت القرآن بشيء لينافي الآراء القويمة، أو تغم حكمته على العقول السليمة.

ولم يكلف العقل الايمان بما لا يعقل، ولم يّحمل الانسان ما لا طاقة له به، ولم يفترض عليه ما ليس من معلومات فطرية.

وقد رسم للبشر أقرب السبل إلى الهداية وحفظ العباد عن مواطن الهلكة.

وقد حفظ بقواعده الرصينة حقوق الضعفاء من البشر، وصان بأوامره حقوق النساء والأولاد، والرق والعبيد، ولم يدع من امور الحياة صغيرة أو كبيرة، إلا وتعرض لها، وسن لها قانوناً للمحافظة عليها وصيانتها:- ما ﴿**فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾.[١]

---

(١) سورة الانعام: ٣٨.

﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾.[١]

ولم يكن هناك أي تغاير بين تعاليمه وبين العلوم الحديثة التي ظهرت في يومنا هذا، بل كان قد فتح أمام الانسان ابواب العلوم الحديثة كلها وحفز الانسان للتفكر والتبصر والتعقل فيها.

فجاء القرآن بما جاءت به سائر الرسالات السماوية من التعريف بالخالق وتقرير العقائد وامهات الشرائع، واساس الأدب والاخلاق.

جاء بجميع ذلك قصداً إلى هداية العالم الانساني، وارشاده إلى ما يضمن له السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي في حياته.

جاء القرآن الكريم حجة بالغة للبشر أجمع، ولتحرير عقولهم من رق التقليد، واخراج الوجدان الانساني من نطاق الحجر الذي ضربه رجال الدين الأقدمين.

جاء لانهاض العقل، واستحثاثه في سبيل التفكير والنظر.

جاء يحفز النفس ويسوقها لقراءة صحف الطبيعة، ويجعلها تتطلع إلى مخلوقات الله تعالى بنظر التبصر والتفكر لتدّبر آيات صنعه تعالى البديعة، فلم يقف في سبيل رقي العلم وحرية الفكر، بل جاء محرراً للعقول الأسيرة، ونوراً وضاء ينير البصائر المظلمة.

---

(١) سورة الانعام: ٥٩.

وثبتاً للأفكار القلقة، ومحركاً للافكار الجامدة، ومعيناً للعلوم القاصرة، وللسعي وراء العلم لمعرفة الحقائق الكثيرة من حقائق آيات الله وصنعه جل شأنه.

فبالقرآن وحده بدأ عهد العلم الجديد، وحصل الانسان على علوم الكون العقلية.

وبالقرآن وحده يمكن الحصول على قانون دين من الاديان التي تلائم الانسان في كل زمان ومكان، صالح لكل امة وكل جيل، منج لكل من استمسك بعروته الوثقى، وعمل بأوامره، فهو دين الابد وختام الاديان.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾. [1]!؟

---

(١) سورة القمر: ١٧.

الاسلام والانسانية

وهكذا جاء الاسلام تجميعاً للطاقة الانسانية كلها، وتوجيهها لها إلى الهدف الاعلى، إلى معنى الانسانية الأسمى: المساواة، والحرية، والكرامة، والعمل، والرحمة، والاستشهاد، وفي كل واحدة من هؤلاء يرتفع بالنفس الانسانية إلى آفاتها العليا.

يرتفع بها في (المساواة) إلى نسيان النعرة الشخصية، والنعرة المحلية، والنعرة القومية، وجميع النعرات التي تمزق الانسانية طوائف ونحلا، وتغرس العداوات والبغضاء وتعوق النمو البشري والتقدم الانساني.

يرتفع بها في (الحرية) إلى (المساواة) في آفاقها ثم إلى التحرر من الشهوات والمطامع المذّلة أو الظالمة.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ .[1]

ويرتفع بها في (الكرامة) إلى (المساواة) وإلى (الحرية) ثم إلى الترفع على عبادة العبيد والخضوع للمخلوقين.

---

(١) سورة الحج: ٣٩.

﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾.[١]

ويرتفع بها في (العمل) إلى (المساواة) وإلى (الحرية) وإلى (الكرامة) جميعاً... ثم إلى الانتاج والتقدم بالانسانية.

«ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

ويرتفع بها في (الرحمة) الى ما فوق اللذات، وإلى المشاركة الوجدانية مع الانسانية، وإلى الشعور بالرحم الأقوى رحم البشرية.

﴿وَفِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.[٢]

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ﴾.[٣]

(الفقراء عيال الله وأحبكم إلى الله أرأفكم بعياله).

ويرتفع بها في (الاستشهاد) إلى ضمان هذه الفضائل جميعاً، وإلى الارتفاع عن الحياة المحدودة إلى حياة أخرى غير محدودة وإلى الخلاص من أشد قيود الغريزة: من حب هذه الحياة المادية إلى حب الفكرة المجردة.

بهذه الروحية الفخمة وثب الاسلام، واندفع يعبر الصحاري والجبال والبحار، حتى وصل إلى ما وصل إليه شرقاً وغرباً، فكانت هذه إحدى معجزاته الكبرى ايضاً.

---

(١) سورة النساء: ١٣٩.

(٢) سورة الذاريات: ١٩.

(٣) سورة الحشر: ٩.

انطلـق المسـلمون الفـاتحون في مشـارق الأرض ومغاربهـا، لا للاسـتعمار والفتح، ولكن لنشره الفكر العليا.

وكلما هبطوا وادياً حرروا أهله، من مستعبديهم، ومـن حكـامهم، ومـن ذات أنفسهم.

حـرروهم مـن السـلطان الغاشـم، والاسـتغلال القبـيح، ومـن الضـلالات والأوهام، وردّوا لهم كرامتهم الانسانية، وساووهم بأنفسهم.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾.[1]

فاختفـت بالاسـلام نزعـات العصـبية، ونزعـات اللـون، ونزعـات الجـنس، ونعرات العزة بغير الله.

«كلكم لآدم، وآدم من تراب».

اندفع الاسلام بهذه السرعة الخارقة، وبهذه القوة الجارفة، لأن الذين اندفعوا بـه عـلى أنفسـهمن وتسـاموا عـلى ذواتهـم، وحفتـت في أرواحهـم سـورة فرديـة، وغلت فيهـا فـورة الغيريـة، ولأنهـم تخلصـوا مـن أوهـام الحيـاة الماديـة المجسـمة، وعشقوا فكرة روحية مجردة... وصار لقاء الله في سبيل مبادئهم أحب اليهم مـن لقـاء أهلهـم وأبنـائهم. ورغبـوا في النعـيم الموعـود برضـاء الله عـن النعـيم الـذي يلذونه في هذه الحياة:-

(١) سورة الحجرات: ١٣.

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[١]

فيجب أن تنتبه إلى اخطار هذه اليقظات السياسية المتنوعة التي تظهر بأشكال مختلفة بين حين وآخر ويجب ان نعلم انها لا تبقى ولا تعيش ولا يرتفع مستواها إلا إذا كانت مستمدة من طاقة روحية تنفخ فيها وتقويها.

فأين هي القيادة الروحية لهذا الجيل؟.

القيادة التي تخلق الشخصيات العظيمة، وترتفع بالافراد والجماعات عن مطالبهم الوقتية إلى المطالب العليا الدائمية.

وعسى أن تكون هناك وثبة روحية قريبة تدعو دعوات اسلامية تنفخ في الجيل الهابط المنحل المنهمك في العوامل المادية المحضة ليرد بها ما اعتورت النهضات الأخيرة من فسادها ونكستها التي تبتدي آثارها في النزعات الحزبية على حساب الوطنية، والممتلئة بالأغراض والمطامع الشخصية وان يظلنا موعدها المرموق.

فبالمثل الروحية الاسلامية فقط يمكننا أن نرد كثيراً مما نراه من الانحلال الخلقي الفردي والاجتماعي الى خمود الشعلة المقدسة من مثل هذا الوقت الذي تغمرنا فيه موجات من أروبا المنحلة التي خبت روحها من قرون واستحالت آلة لا قلب لها ولا ضمير تنفق من زمن قديم وسينفد بعد حين.

---

(١) سورة التوبة: ١١١.

فجاء الاسلام ليؤسس دنيا البشرية يستوعب الأديان عامة، ومجتمعاً عالمياً يسع الناس كافة.

ووضع الاسلام لذلك أصولاً أولية، وقرر مبادىء كلية، وانطلق المسلمون به يحققون أغراضه هذه، فجالوا في اكناف الأرض نحو ثمانين سنة نشروا لواءه فيها على نحو ربع الكرة الأرضية، وأبلغوا دعوتهم إلى العقيدة الاسلامية، والدفاع عن طريقتهم الاجتماعية بكل ما أوتوه من نشاط في العمل، وسعة في الصدر.

ولذلك فقد ظلت العقيدة الاسلامية بسيطة واضحة، وتكفل التعبير القرآني وحده بتحقيق الجانب في هذه العقيدة، بما يناسب وضوحها ونصاعتها.

وتلك طريقة القرآن غالباً في مخاطبة الحس الانساني، وهي أقوم طريق، وأقوم سبيل.

فجاء الاسلام ليحرر الانسانية من اغلال الجهل والعناء، وليبغي لها حياة هادئة وادعة، يغمرها نور العلم والايمان، وليعيش الناس فيها على قدم المساواة في الحقوق، والواجبات في السراء والضراء.

فحارب الاسلام تلك النعرات الجاهلية الغاشمة والعصبيات العقلية الذميمة واعلن الاسلام بأن الناس سواء، ونادى ذلك النداء الذي يشع النور من كلماته:-

«الناس سواسية كأسنان المشط، وانما يتفاضلون بالعاقبة».

«لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى».

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾.[١]

كانت النفوس تغص بالجشع، والقلوب تجيش بالطمع، والاثرة تسيطر على العقول، وكان القوي يستبد بالضعيف، وما كان المرء يفكر إلا بنفسه، وأصبح بذلك الظلم والبغي والمنكر قانوناً يطبقه الغني والقوي ويرضخ له الذليل والفقير، فناداهم الله تعالى في كتابه:- **﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**.[٢]

فنظم الاسلام العلاقات الاجتماعية على اساس التعاون الوثيق بين الافراد والمحبة والاخاء.

فالسادة الذين يشمخون بأنوفهم كبراً، يجب أن يتواضعوا، وإلا فانهم محرومون من رضاء الله:-

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[٣]

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ﴾.[٤]

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سورة النحل: ٩٠.

(٣) سورة القصص: ٨٣.

(٤) سورة الحجرات: ١١.

أما الذين أدركوا من الناس معنى الانسانية، وتجافوا عن الكبرياء ورضى الله عنهم، فهم الذين قال القرآن فيهم:-

﴿وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾.[(١)]

والإسلام يجمع قانون العلاقات الاجتماعية في قول نبيه الكريم حيث يقول:-«المسلم من سلم الناس من يده ولسانه».

والاسلام يحد من غريزة العدوان ودفع الشر بمثله فيقول:-

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.[(٢)]

ولا بدع، فدين الاسلام ليس مجرد صلاة وعبادة، وانما أساسه حسن المعاملة بين الناس، وشعور كل فرد بشخصيته وحريته في حدود القانون والمصلحة العامة.

فيقول الله تعالى:- **﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقابِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾**.[(٣)]

---

(١) سورة الفرقان: ٦٣.
(٢) سورة فصلت: ٣٤.
(٣) سورة البقرة: ١٧٧.

ولم تكن الصدقات فضلاً من ذوي اليسار على ذوي المتربة يؤدونها تارة وينكرونها اخرى، بل كانت فرضاً محتوماً يخرجونه من أموالهم عيناً كانت أو عروضاً، ثابتة أو منقولة:-

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.(1)

وأصرح من هذا في قوله تعالى:-

﴿إِنَّ الإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً*إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً*وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً*إِلاَّ الْمُصَلِّينَ*الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ*وَالَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ*لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.(2)

ولما كان حب المادة متأصلاً في النفوس البشرية منذ كانت عصور الظلام رأى الاسلام ان طالب المادة لا يشبع، وان الروح لا بد لها من غذاء، ومع هذا فلم يحث الناس على ترك الدنيا، لأنه دين عملي يتمثل في قوله تعالى:-

﴿وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾.(3)

وقد عقد الاسلام تفاضلاً بين الحياة الدنيا والآخرة مخافة أن يطغى حب المادة على الروحانيات ولهذا قال تعالى:-

---

(1) سورة التوبة: ٦٠.
(2) سورة المعارج: ١٩-٢٥.
(3) سورة القصص: ٧٧.

﴿الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَالْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾.[1]

﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَزِينَتُها وَما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقى أَ فَلا تَعْقِلُونَ﴾.[2]

وقد أكثر الاسلام من توجيه الناس إلى التفكر فيما حولهم من بدائع المخلوقات حتى يحرك اذهانهم:-

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.[3]

وحث الاسلان على التعلم رافعاً من شأن العلم واهله:-

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

﴿أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ* وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.[4]

---

(١) سورة الكهف: ٤٦.

(٢) سورة القصص: ٦٠.

(٣) سورة البقرة: ١٦٤.

(٤) سورة فاطر: ٢٧-٢٨.

وهذا يفسر لنا تلك النهضة العربية الاسلامية التي ظهرت بعد الاسلام وشغف المسلمين بالفلسفة والعلوم العقلية التي أحيا المسلمون شعلتها وزادوها في سناها، وتلقفتها أوربا من أيديهم ساطعة منيرة.

ولم يكن الاسلام متعصباً في عقيدته ينكر الأديان قبله ويذمها، بل جعل شرط الاسلام الايمان بما أتى به المبينون من قبل:-

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْباطِ وَما أُوتِيَ مُوسى وَعِيسى وَما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.(١)

فالاسلام دين لا يعرف التعصب بل يشمل الانسانية كلها.

دين لا يفرق بين الأجناس ولا البلاد ولا الحدود:-

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَناكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.(٢)

فهذه هي تعاليم الاسلام التي أخرجت الانسانية من الظلمات إلى النور فهل من نفحة من نفحات الاسلام ورسول الاسلام ترف على العالم فتهديه سبل السلام، وقد أوشكت مآسيه أن تلقف كل ما بنى النور وشيد العدل وأقامتها الانسانية.

---

(١) سورة البقرة: ١٣٦.

(٢) سورة الملك: ١٥.

فلا إنسانية بغير الاسلام، ولا سلام بدون الاسلام.

فليتصور الانسان لنفسه نظاماً واحداً يصلح لكل زمان ومكان، ويقطع أسباب النزاع بين الانسان والانسان: يوحد الله ولا يشرك به أحداً من خلقه، ويقدس جميع الشرائع التي أنزلها الله، ولا يفرق بين أحد من رسله، ويؤاخي بين الناس كافة في الروح والعقيدة لا في الجنس والوطن، ويسوي بين الأخوة أجمعين في الحقوق والواجبات، فلا يميز طبقة على طبقة، ولا جنساً على جنس، ولا لوناً على لون، ويجعل للفقير حقاً معلوماً في مال الغني يؤديه اليه طوعاً أو كرهاً، ليستقيم ميزان العدالة في المجتمع، ويجعل الحكم شورى بين ذوي الرأي فلا يحكم بأمره طاغ، ولا يصر على غيته مستبد، ويحرر العقل والنفس والروح فلا يقيد النظر، ولا يحصر الفكر، ولا يقبل التقليد، ولا يرضى العبودية، ويأمر معتقديه بالاقساط والبر لمن خالفوهم في الدين، وعارضوهم في الرأي، ويوحد الدين والدنيا ليجعل للضمير السلطان القاهر في المعاملة، وللايمان الأثر الفعال في السلوك.

وخلاصة القول فيه ان النظام الذي يحقق الوحدة الانسانية فلا يعترف بالعصبية ولا بالجنسية ولا بالوطنية، وانما يجعل الأخوة في الايمان والتفاضل بالاحسان والتعاون على البر والتقوى.

فاذا تصور الانسان هذا النظام فقد تصور الاسلام. وإذا أخذ به فقد اطمأن العالم المضطرب، واستقر السلام المزعزع. فلم يعد هذا الانسان خاسراً بل رابحاً بكّفيه سعادة الدنيا ونعميم الآخرة.

من مزايا الشريعة الاسلامية

للشريعة ألاسلامية مزايا جعلتها أغنى الشرائع وأوفاها بحاجات الأفراد والجماعات، وأكفلها بتحقيق طمأنينة الأمم وسعادتها وقوتها وعزتها.

بل هي اذا اتبعت مع آداب الاسلام ووصاياه الأخرى من أمورها المستحبة والمباحة والمرّجحة، كفيلة بتكوين أمة مثالية تجتمع فيها عناصر القوة، والمنعة، والحياة الصالحة، والمدنية الفاضلة، وتتهيأ لها أسباب التقدم والنهوض إلى أرفع المراتب، وأعلى الدرجات.

وليس في مقدور أحد أن يحصى هذه المزايا كلها لتنوعها وكثرتها ولذلك فلنكتفي هنا بذكر بعض هذه المزايا التي تكشف عما فيها من قوة الحياة، وسمو المبادىء، وشرف الغاية، ونيل المقصد.

ان جميع أحكام الشريعة الاسلامية جرت موافقة لمقتضى العقل وجائت وفق الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها قبل أن تفسدها الأهواء.

ففي جميع أحكامها من المنافع والآثار النفسية والتهذيبية والخلقية والاجتماعية، مالا يمكن أن يخفى على ذوي العقول السليمة.

فشريعة الاسلام شريعة العقل والفطرة، وليس فيها شيء يخالف القياس الصحيح، ولذا جاءت أحكامها رحمة وحكمة ومصلحة ونعمة.

ومن مزايا هذه الشريعة المقدسة هي جعل غايته تحقيق مصالح العباد في المعاش، والمعاد، ودفع المضر والمفاسد، وتحقيق العدالة المطلقة، وانها جاءت بغاية العدل الذي يفصل بين الخلائق، وانه لا عدل فوق عدلها.

ويقول فيها أحد كبار الكتاب في هذا العصر:-

(الأمور الشرعية التي دونها الفقهاء المسلمون قبل نحو أحد عشر قرناً تبث في عدالة أصولها، وسمو مستواها، وانفاقها من الحق الطبيعي جميع القوانين الوضعية حتى التي سنت في القرن العشرين) ثم قال: (ان من يتأمل في التشريع الذي استنبطه علماء المسلمين في الرق والارقاء وفي المرأة وما يتعلق بها من حقوق طبيعية وروحية، وفي الايتام والفقراء، وفي حقوق المحاربين، والمعاهدين، والأجانب، والذميين، وفي الشؤون المدنية والجنائية، وفي العقوبات والتعزير... ومن يتأمل في هذا كله يجد تفوقاً ظاهراً في التشريع الاسلامي على التشريع الأوربي في القرن العشرين).

ولا شك ان ذلك هو الجدير بشريعة جاءت مكملة لما كان في الشرائع قبلها من نقص بعد أن استعدت الأمم لتلّقي هذا الكمال ونضجت لتقبل أسمى المبادىء، وأشرف الغايات والمقاصد.

روي انه صلى الله عليه وآله قال:-

«مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني داراً فأكملها إلا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر اليها فأعجب بها قال: ما احسن هذه الدار إلا موضع هذه اللبنة، فأنا اللبنة، بي ختم الأنبياء والمرسلين».

ومن مميزات الشريعة الاسلامية ان كافة احكامها وتكاليفها مبنية على مبدأ المساوات، إذ كلف بها الافراد والجماعات بلا تميز.

فأحكامها وعقوباتها وحدودها لا يستثنى منها غني واسع الثراء ولا امير عريض الجاه ولا خليفة تدين له الخلائق بالطاعة والامتثال.

فالمسلمون كلهم متساوون في الحقوق والواجبات، وفي التكاليف و الأحكام والقوانين.

نقود هذا المبدأ من يوم أن بزغت شمس الاسلامن وسطع نور الهداية السماوية.

ومن مميزاتها اعتبار كافة النصوص الشرعية موجهة إلى الامة كلها ما لم يدل دليل على الخصوصية.

بهذا المبدأ العظيم عزت نفوس المسلمين، وسمت هممهم، وعظمت أخلاقهم، وبرزت فيهم قوة الشخصية والمواهب، ونجم فيهم الرجال قادوا الأمة الاسلامية إلى أوج المجد والرفعة. وساسوا العالم كلها بالقسط والرفق والرحمة.

وتلك هي روح الاسلام التي بها دخل الناس في دين الله أفواجاً، وكانوا حماة وانصاراً.

ومن خصائصها الاخرى وميزاتها التي ميزتها انها قامت على الاخلاق المرضية، والفضائل المرعية، وخشية الله ومحاسبة الوجدان والضمير في كل ما يصدر عن الانسان.

وليست قوانين افلاطون، ولا الشرائع الرومانية، ولا القوانين الغربية الحديثة بمستطيعة أن تجار الشريعة الاسلامية في هذا السمو الخلقي الذي بنيت عليه جميع التصرفات والمعاملات وما يصدر عن الانسان من قول أو عمل.

﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾.[(١)]

ولقد امتازت هذه الشريعة المباركة باقتصار تشريعه التفصيلي على الامور الثابتة التي لا تختلف باختلاف الامم والعصور.

وأما الحوادث الجزئية، والاحكام الفرعية التي تختلف باختلاف الاحوال والامم، فانه لم يتناولها إلا بقواعد كلية، ومقاصد عامة، ليترك الباب مفتوحاً لاهل الاجتهاد من كل امة وفي أي عصر، ليستنبطوا من الاحكام ما يحقق مصالح العباد ويتفق مع حاجاتهم.

ومن ابرز مزايا هذه الشريعة وخصائصها يسر احكامها، وسهولة تكاليفها، ومسايرة أوامرها ونواهيها للطبيعة البشرية، والفطرة الانسانية التي لم يسمها رجس، وليس في ذلك شيء يفتها، ولا حكم يشق عليها، ولا غرو، فهي شريعة الرحمن الرحيم، وتنزيل من الخبير العليم.

﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾.[(٢)]

﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.[(٣)]

---

(١) سورة المائدة: ٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٣) سورة البقرة: ١٨٥.

وهناك مواد كثيرة في أمور متعددة ذكرت للتخفيف اسباباً وهي كالمرض وما يتعلق به، جواز التيمم عند الخوف على نفسه، والقعود في صلاة الفرض، والفطر في رمضان و....الخ.

والسفر ومما يتعلق به قصر الصلاة الرباعية والفطر في رمضان.

والنقص وهو نوع من المشقة، لأن النفس مجبولة على حب الكمال، فناسب التخفيف في التكليف ومما ترتب على ذلك عدم تكليف الصبي والمجنون. وعدم ما يجب على الرجل كالجهاد.

ان هذا التيسير والتساهل في الشريعة الاسلامية، وهذه الرخص التي اتت بها تخفيفاً على العباد في مواطن الحرج والمشقة إحدى مزايا الاسلام ومما يعد آية على انه جاء رحمة للعالمين.

ومما تتميز بها أيضاً توفيته بمطالب الجسد والروح معاً في حدود الاعتدال، فهو وسط جامع لحقوق الجسد والروح ومصالح الدنيا والآخرة.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾.(١)

فالاسلام جعل المسلمين بتعاليمه هذه وسطاً بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجسدية والمنافع المادية، وبين الذين تغلب عليهم التعاليم الروحية، وتعذيب الجسد، واذلال النفس، وهذه مزية تشهد لها بمراعاتها الفطرة الانسانية السليمة، وتحقيقه مصالح العباد، وتهيئة اسباب السعادة لهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

ولاتقتصر الشريعة الاسلامية في احكامها على اعمال الانسان الظاهرة، وارتباطها بغيره، ولا يكتفي بأثر الشريعة الدنيوية، ولا بالحكم المنصوص عليه في القانون الواجب التطبيق في الظاهر- كما هو شأن القوانين الوضعية العامة- بل تتبع بواعث ونية العامل، فيحكم عليه حكماً اخروياً يناسب النيات والبواعث الباطنية من مثوبة أو عقوبة اخروية.

وهذا شأن التشريع الكامل الذي يقصد الى الاصلاح الحقيقي المؤدي إلى اصلاح القلوب وتهذيب النفوس فتجري المعاملات بين الناس على اساس صالح من مراعات العدل والحق.

وبذلك تجعل الانسان – في كل ما يصدر منه- تحت رقابتين الخشية من الله، والضمير. ثم الخشية من احكام القانون.

وللتوضيح نذكر على سبيل المثال:

ان عقد الزواج له حكمان إذا وقع مستوفياً اركان وشروطه:

(أحدهما) أثره المترتب عليه، وهي تلك الحقوق و الواجبات التي أثبتت لكل من الزوجين على الآخر؟

(وثانيهما) وصفه الشرعي الذي يرجع إلى نية العاقد والباعث له على الزواج.

فقد يكون هذا الزواج حراماً يعاقب المتزوج عليه في الآخرة إذا يتفق ظلمه لزوجته، أو نوى بزواجه الاساءة اليها، أو لذوي قرباها.

لأن الــزواج انــما شرع لتحصــين الــنفس، وبقــاء النســل، وتحصــيل الثواب...الخ.

وهـو بـالجور يرتكـب المحرمـات فتفـوت المصـلحة التـي مـن اجلهـا شرع الزواج، لرجحان المفاسد الناجمة من الجور عليها.

وقد يكون فرضاً يثاب فاعله، ويعاقب تاركه إذا كان الـزوج مـع قدرتـه عـلى واجبات الزوجية يتيقن الوقوع في الزنا إذا لم يتزوج.

ويكون سنة مؤكدة حال الاعتدال فيأثم بتركه، ويثاب ان نوى تحصيناً.

ومن أوضح الدلائل، وأقوى الحجج على ان الشريعة الاسلامية سـمحة هـو أفرادها حرية الرأي والاجتهاد في التشريع ما روعيت اصـوله، وتحققـت دعائمـه وشروطه- اتساع باب العقوبات وتعدد وجوه العزير فيها.

فان العقوبات ان كانـت مقـدرة مـن الشـارع عـلى الجـرائم المجترحـة سـميت حدوداً، وهـي التـي وردت في القـرآن في حـد الزنـا، والقـذف، والسرـقة، وقطـع الطريق.

أما إذا كانت غير مقدرة من الشرع ويجب بارتكاب معصية من المعاصي التي لا حـد لهـا، كشـهادة الـزور، وايـذاء مسـلم أو ذمـي يقـول او فعـل، ومنـه سـب المحصن بغير الزنا، والنظر إلى الأجنبية والخلوة بها، وسرقة مالا قطع فيه.

وتعزيز العقوبات على المعاصي والمحرمات، او ترك الواجبات التي لم يـرد في النصوص الشرعية عقوبة معينة لها- يرجع إلى اجتهاد الأئمة واولي الأمر في كـل زمان ومكان.

وتختلف باختلاف أحوال الجرائم وكبرها وصغرها، وبحسب حال المذنب نفسه.

ولذلك كان التعزيز من أوسع الأبواب في الشريعة الاسلامية.

ولا يخفى ان الشريعة الاسلامية تسع كل ما يقر العدالة، وينشر ظلالها على الناس.

فوجب جعلها الدعامة الأولى، والأساس الأول، في تشريع القوانين، ولا شك أن فيها غني عن كافة القوانين الأخرى، مدنية كانت أو جنائية.

ومما يميز الشريعة الاسلامية، ويفضلها على بقية الشرائع، انها جعلت العرف أساساً من أسس التشريع، إذ لم يخالف نصاً صريحاً حتى جعل الفقهاء الاسلاميون العرف والعادة قاعدة من قواعدهم، بنوا عليها كثيراً من أحكام الفروع الفقهية، وجرت على ألسنتهم في عبارات مختلفة لفظاً متقاربة مآلاً ومعنىً.

هذا ويندهش من تطلع على كثرة المسائل الفقهية، والأحكام التشريعية، التي بناها علماء التشريع الاسلامي على العرف والعادة، إذا اعتبروهما أساساً من أسس التشريع وفق شروطها اللازمة لها.

ولا مجال للاندهاش متى ما علم ان القانون الصالح هو الذي تراعي فيه أحوال الأمة الاجتماعية والاقتصادية وعادتها العامة، على ألا تكون في ذلك اقرار مفسدة، أو تعطيل مصلحة.

ومن جهة أخرى: فان النزع من العادة الظاهرة، واقصاء الناس عن العرف العام- في غير حاجة وضرورة- فيه جرح لهم.

ولا شك ان أصلح الشرائع، وأجدرها بالبقاء ما روعي فيها اليسر وانتفى منها الحرج والعسر، وذلك ما لا تحققه أي شريعة في العالم سوى شريعة الاسلام.

فما بالنا نظلم الاسلام؟. ونظن به العصبية والجمود؟.

ما بالنا نستحي به؟ ونحسبه يعود بنا إلى الوراء؟.

والاسلام مذ كان دين سماحة وعقل وتقدم!.

ألا لقد آن أن نفهم الاسلام على وجهه، وان نعرفه على حقيقته، ونأخذه من منابعه، لا من أفواه الناس، ولا من أشباه الكتب. وان نعتز بالانتساب إليه، وان نرفع الرأس فخراً، وأن نجعله أمامنا في حياتنا، وان نكون من حزبه.

﴿**أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾. (١)

ام محمداًﷺ علمنا معنى العزة، والكرامة، وعرفنا قيمة العقل، والعلم...

وشرع الاسلام لنا شرعة الايمان، والعدل، والاحسان...

فلنعد إلى ما شرع الله على لسان نبيه الكريم، ولنفتح في التاريخ صفحة مجد وسمو ونبل للانسانية. الا انها كلمة صدق!.

---

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

الا انه لا تصلح هذه الامم، ولا يسود هذا العالم شيء من السلام والسعادة مالم يهتدوا بهداية السمآء، ولم ينجو مما وقعوا فيها من المهالك والاخطار إلا باتباع شريعة الاسلام.

فانهم ان ابتغوا العزة بغيرها ذلوا.

من لنا بأن نجتلي هذه المثل العليا وأمثالها في سيرة من بلغت الانسانية على الناس بلسانه لتكون لنا نوراً وهدى في مثل هذه الظلمات التي يتخبط فيها الناس.

وما لنا إلا أن نطلب من رب السماء أن يلهمنا الصواب، ويسدد خطانا في طريق الحق، ويهيء لنا من أمرنا رشداً.

الاسلام والمبادىء الاخرى

لا غرابة ولا عجب في أن يتفق مع الاسلام بعض المبادىء الدينية الأخرى في أنواع من أعمال البر والخير لا جميعها، ولكن مما لا شك فيه انها تختلف عنه في المبادىء الاساسية، وان كانت تشترك معه في سائرها.

وهذه إحدى مزايا هذا الدين الجليل... والإصلاح الذي قام به الاسلام أدى إلى نتائج كبيرة، ولأجله نجد أن المصلحين في الامم أو الذين يدعون إلى الاصلاح في مبادئهم المتنوعة، التي يا ما أكثر واكثر اسماءها في هذه الايام الاخيرة يحاولون السلوك بمقتضى خطته.

وقد أهدتهم بحوثهم وتتبعاتهم إلى ذلك، فالفرنسيون قبلوا بعض مبادىء الاسلام الاخلاقية في قوانينهم، وهكذا أخذ الامريكيون والانجليز قسطاً منها، وهكذا أخذت المبادىء العالية الاخرى كلها قسماً من الاسلام.

ولم يكن هذا بدليل على أن المبدأ الذي أخذ من الاسلام شيئاً هو الاسلام بعينه.

فالاسلام دين عقيدة، ومبدأ توحيد، ومذهب تعبد الله تعالى، وطريق سلم، وهداية إلى كل ما فيه خير الدارين.

بينما المبادىء الاخرى لم تأخذ في وجهة نظرها، إلا ما دار مآله إلى الدنيا فقط، وهذا هو أهم الفروق التي تميز الاسلام عن مبادىء الديمقراطية أو الاشتراكية أو الفاشية أو النازية أو أي مبدأ آخر مما لا مبرر لذكر اسمه هنا.

فقد جمع الاسلام في قوانينه أهم أصول القواعد للأخلاق الاجتماعية في العالم التي تؤدي الى العدالة التامة والمساوة والأخوة بين الناس:

فمنها الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبهذا الأصل ينبغي على المسلم مكافحة أي مبدأ، مهما كان نوعه دون الاسلام، حيث: أن الدين عند الله الاسلام، ومن يبتغي غير الاسلام دينا لن يقبل منه.

ومنها التواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

والمقابلة بالمثل، والصفح عند المقدرة، والدفع بالتي هي أحسن والتعاون على البر والتقوى، لا على الائم والفسوق.

وكظم الغيظ.

والوفاء بالعهد.

وأداء الأمانة إلى أهلها.

والاحسان بالوالدين وبذي القربى، اليتامى، والمساكين، والجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وما ملكت الايمان والتضحية في سبيل الله.

والأخلاص في العمل لله.

والعمل في سبيل مرضاة الخالق لا لمرضاة المخلوق وحده.

والصدق، وغيره من الصفات الحسنة الأخرى.

هذا، والمنهيات والمحرمات مما يتعلق بالجماعة والمجتمع:-

كالكذب، ونقض العهود، والخيانة، والقتل، والزنا، والخمر، والميسر، والنفاق، والرياء، والربا، وأكل اموال الناس بالباطل/ والظلم... الخ.

وأساس هذه آيات كثيرة وشاملة في القرآن الكريم، منها:-

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾.(١)

ولهذه أصلان مهمان:-

١- الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

٢- السمع والطاعة.

٣- والأصل الأول قانون أخلاقي مهم جداً.

والثاني تطبيقي، فالمسلم الذي بيده الحل والعقد، يأمر وينهي، والمسلم الآخر، يسمع ويطيع.

وليس مجال لثمة ريب أو شك في أن امة تمسك بهذين الاصلين إلا نالت ذروة المجد..

فالبشرية بمبادئها المختلفة انما تسير بلا هدى ولا كتاب مبين، في حين أن القرآن الكريم وجه الاستقامة، وعين السبل التي تحتفظ كيان الامم.

---

(١) سورة النحل: ٩٠.

فجاء فجاء الاسلام بتعاليمه على ضوء العقل لحماية الخلق من البطش، وشرور التنافر، والتنازع، والتطاحن، ولخير الجنس البشري بأجمعه، دون تمييز بين ملة وأخرى، ليحيى الناس كلهم في وفاق وسلام.

ونظام الدولة الاسلامية هو عكس ما عليه النظم الحالية للدول في الوقت الحاضر.

فلم تكن مجموعة من المصالح والغايات المتضاربة.

ولم يكن فيه كما في المبادىء الدينية الأخرى الحديثة منها والقديمة من مآرب شخصية، بل فيه أسمى الأغراض، وأنبل الغايات التي ترمي إلى اسعاد البشرية عامة، والذي يجزم يقيناً انه يخدم المجتمع حقيقة مراعياً في ذلك التجرد من الغايات الشخصية.

فالاسلام دين برهن بما لا يقبل الجدل والمراء، بأنه دين التقدم والمدنية الذي يأمر اتباعه بالصراط المستقيم، والطريق الاوسط والاعتدال في الامور، فلا تقتير، ولا اسراف.

فلا يدعو الاسلام بالرهبنة كما تدعو اليها المسيحية!. ولا يدعو بالانغماس في الشهوات البهيمية كما تدعو اليها الامم الاوربية. الآخذة في الانحطاط والتلاشي.

فالاسلام يدعو الى الاعتدال في كل شيء.

فهو يدعو إلى التفكير في حياة الآخرين وامورهم، كما يفكر الانسان المسلم في حياته واموره بقول النبي صلى الله عليه وآله :-

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه».

وحيث أن الحياة شبكة مرتبطة الاطراف واحدة لا يمكن لمن كان داخلها بالاعتماد على نفسه في كل شيء مهما حاول، لأن الطبيعة تسوقه حتماً إلى الالتجاء إلى الغير، لأنه مخلوق مدني بالطبع.

والاسلام بصفته آخر الاديان وأحدثها لن يتحجر لئلا يصبح قديماً ويبلى، فهو دين تطور بتطور الازمنة والظروف، بخلاف المبادیء الدينية الاخرى التي لا تكون إلا زمنية لا يصلح إلا لزمان خاص ولربما دلت التجارب فيما بعد انها لم تكن تصلح حتى إلى ذالك الزمن الوقتي المحض.

وهنا سر الفرق الذي يفصل بين الاسلام والاديان والمبادیء الاخرى والاسلام يسعى ويعمل ليكون الفرد: متعلماً، مثقفاً، مستقلاً، شاعراً بكرامته، وقوته ومركزه (اريستوقراطياً) وهو في الوقت نفسه احد افراد جماعة (ديمقراطية).

ولا اظن أحداً ينكر بأن يكون هذا المثل الأعلى للانسانية التي تجمع بين حسنات (الارستقراطية، والديمقراطية) في وقت واحد.

فالديمقراطية الحقة التي جاء بها الاسلام، وثبت قواعدها عملياً بما وضعه من نظام اجتماعي كامل.

فيقول الفيلسوف (فيخته):-

(ان الهدف الذي يجب على الانسانية أن تسعى اليه وتعمل له هو ايجاد- جماعة مفكرة حرة الارادة-).

أو ليس هذا هو نفس- الارستقراطية الديمقراطية- التي دعا اليها الاسلام، وعمل على ايجادها؟.

فهـذه الافكـار الديمقراطيـة لا يمكنهـا أن تعـيش إلا بالتسـلح والحريـة الروحية!. وقد دعا إلى ذلك بكل حماس واخلاص كثير من فلاسفة الانجليز امثال: (لوك، وهيوم، وشافتسيري).

ومن الفرنسيين مثل: (فولتير).

ومن الألمان مثل: (ليسنج، ومندلسون).

ويرى (ليسنج) ان الموسوية والمسيحية والاسلام حلقات متصلة بعضها تكون وحدة تامة.

وهل يقول الاسلام غير ذلك؟.

والاسلام يعني الاستسلام إلى ارادة الله تعالى بالاضافة إلى كل ما فيه من الحسنات والمميزات.

وهذا ما دعى الفيلسوف والشاعر السياسي والعبقري العظيم أن يكون أقرب الغربيين إلى الاسلام في مبدئه.

وهذه المبادىء الحقيقية في الاسلام هي التي دعت اعظم كتاب أوربا المدعو (برناردشو) أن يقول:

(ان انكلتره بل اوربا لو احتاجت إلى دين تتبعه لينقذها مما هي سائرة اليه من دمار محقق وهلاك لا مناص منه فليس امامها الا الاسلام).

فقد رآى هذا المفكر ان الاسلام هو دين العقل، والمبادىء العملية السامية.

دين مجرد من التحيز والتعصب.

دين يحفظ للرأسمالين اموالهم، ويجعلهم مسلطون على اموالهم وانفسهم حيناً، ويوجب عليهم دفعها للمستحقين حيناً عند اقتضاء الضرورة ويجعلهم يضّحون بهذه الأنفس الغالية حيناً ان دعى الى ذلك داع. فالاسلام رأسمالي لحرية الفرد على أمواله داخل نصاب معلوم، وحقل محدود.

والاسلام اشتراكي، لفرضه في اموال الاغنياء والاثرياء حقاً للسائل والمحروم يدفعونها بطيب خاطر بعضهم للبعض غير ناسين فيما بينهم الفضل والرحمة والشفقة والمروءة والمعاونة والمساعدة في كل حين.

فالسلام هو دين التوحيد الذي يدعو إلى رسالة الحق ومحافظة الحقوق بين الناس، ويهديهم خير السبل، ويرجعهم الى حظيرة الايمان ويبين لهم وسائل الحياة على افضل الطرق واجداها نفعاً في العصر الجديد ويؤمن للعالم سعادة الدنيا والاخرى في وقت واحد.

وليس في الاسلام من حرج وكل مباح لا يتعارض مع المنطق السليم مباح.

وكلم ما يغلب نفعه على ضرره فمباح، والعكس بالعكس.

ويستحيل على احد ان يجد مبدأ كالاسلام فيه الحرية بمعناها، ولا قانوناً كالاسلام يوزع المال بين الافراد بطيب من الخاطر، محافظاً على ما في ايدي كل منهم غير مكبت في الناس غريزة حب التملك التي تكاد تكون من اقوى الغرائز البشرية التي حافظ عليها السلام، وانمى بجانبها حب البذل والانفاق والكرم،

وافسح بين ذلك المجال للعمل برغبة ونشاط، وسن قانون الارث، والصدقات، والكفارات، والزكوات، وبيت المال، لتأمين وضمان الحياة الاجتماعية للافراد والمجتمعات.

فكل ما ينشده أصحاب المبادىء الشخصية من الاصلاح موجود في الاسلام الذي به وحده ينجو البشرية من أهوال هذه الحياة الدنيا وبه وحده يكسب رضاء الخالق للدار الأخرى.

فما الدين إلا الاسلام، ومن ابتغى غير الاسلام ديناً فلا ضمان لحياته الأجتماعية، ولا لحريته، ولا لكل شيء يبتغيه.

١- ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ*الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾.[1]

٢- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ﴾.[2]

٣- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾.[3]

٤- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ﴾.[4]

٥- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ﴾.[5]

٦- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ﴾.[6]

---

(١) سورة المؤمنون: ١-٢.
(٢) سورة المؤمنون: ٤.
(٣) سورة المؤمنون: ٣.
(٤) سورة المؤمنون: ٥
(٥) سورة المؤمنون: ٨.
(٦) سورة المؤمنون: ٩.

الحشر وعاقبة الحياة الدنيا

هل الحشر من الأمور التي تعلوا على الفهم بحيث ينبغي لنا أن نؤمن به بدون بحث؟.

هل الحشر من الأمور التي للعقول مجال للبحث فيها؟.

هل أذعن العالم منذ القدم بعقيدة الحشر أم عرفها وأذعن بها حديثاً؟.

الحشر وان كان متوقفاً على السمع بحيث لا يمكن للعقل أن يستقل بادراكه لو لم تأت به الرسل، ولكنه من القضايا التي تذعن لها العقول وتسلم بها ما دامت تؤمن بالله ورسله.

فان الله الذي أوجد هذا العالم على هذا النظام الدال على انه حكيم عليم قدير لا يشك عاقل في انه لا يصح لذلك الاله ان يهمل هذا العالم بدون حساب، ولا عقاب، ولا جزاء، كما لا يصح أن يهدم ذلك البناء الرائع بدون أن يجد أحسن منه.

ومن له قصر منيف بديع الصنع ثم سلط عليه معاول هدمه بدون أن يجدده، وعزم على تركه خراباً، فانه يكون سفيهاً دون شك في نظر العقلاء.

وكذلك من له رعية يأمرها وينهاها من غير أن يجزي محسنها، ويؤاخذ مسيئها، فانه يكون عابثاً لا قيمة لأمره ولا نهيه.

ولو ان الانسان تأمل في أجناس المخلوقات من حيوان، ونبات، وجماد، فانه يجدها تتطور في وجودها.

فالجماد بالعمل فيه يرقى إلى نبات، والنبات يرقى إلى حيوان وانسان لأنه يصير جزءً من أجسامها بعد أكله، والحيوان يرقى إلى إنسان، لأنه كذلك يصير جزء منه بعد أكله.

فالعقل في هذه الحالة لا يسعه إلا أن يقيس الانسان الذي هو أفضل أنواع المخلوقات على باقي الأجناس.

إذ لا يصح أن يحرم هو من الرقي وهي ترقى، فلا بد له من حياة أرقى من هذه الحياة مادياً وأدبياً.

إذ ليس من المعقول أن يكون هذا النوع المفكر العالم الذي كان سبباً في تعمير الأرض وسخرت له جميع العوالم يفنى لا إلى نهاية، وينعدم كأنه لم يكن شيئاً مذكوراً.

وهذا المعنى ضروري، يجده كل عاقل من نفسه، والعقول التي تجحد ذلك إنما يغلب عليها الأباحة، ويتملكها حب الحصول على القسط الأعلى من اللذات العاجلة.

فهي تنكر الحياة الآخرة لما يترتب على اطلاق العنان لشهواتها من المؤاخذة والعقاب في تلك الحياة.

وذلك خسران واضح، وضلال مبين.

فانه لا ينبغي أن يكون الانسان المتّصف بالصفات التي تقتضي الخلود والبقاء الدائم من العلم والعقل والتفكير، كالحشرات التي توجد وتنعدم دون عودة.

بل يكون على التحقيق كالسراب الذي لا وجود له أصلاً.

فان الوجود الذي ينعدم لا إلى نهاية كلا وجود، من أجل ذلك كانت عقيدة حشر الناس بعد موتهم غالبة على كل الامم، وجاءت بها جميع الشرائع، ولم يشذ سوى طوائف قليلة لا تأثير لهم على النفوس في ذلك، ولا قيمة لهم في الوجود.

وكفاهم مقتاً وذماً. انهم زنادقة ملحدون خارجون على الله وعلى رسله. واضعون اسس الاباحة والفوضى في كل زمان ومكان.

وبعد اثبات وجود الاله المتصف بصفات الكمال، والمنزه عن صفات للنقص، وثبوت وجود رسل جاؤا بتوحيد ذلك الإله وتنزيهه عما لا يليق به، فان تصديقهم في كل ما يبلغونه عن ربهم يكون ضرورياً لا يحتاج إلى نظر واستدلال، لأنه مبني على انه من عند الصادق المعصوم عن الكذب والخطأ والنسيان في كل ما يّبلغ عن ربه.

وقد أجمع الرسل في كل زمان ومكان على الأخبار بأن للانسان حياة أخرى، وان لا بد أن يبعث ثانياً بعد الموت، وتستمر حياته بعد ذلك بلا انقضاء، وهو مع تلك الحياة المستمرة اما سعيد في نعيم خالد وملك دائم، وأما شقي في عذاب أليم.

ذلك ما أخبر به الرسل جميعاً.

وقامت البراهين القاطعة على صدقهم.

فواجب على من يؤمن بهم أن يجزم بما جاؤا به من ذلك، ومن لم يجزم به كان كافراً بهم قطعاً.

فمن ينكر الحشر والبعث بعد ما اخبر به الصادق الأمين، وجاء به كتاب الله تعالى المتواتر فليس بمسلم.

كما انه لا يدين بدين، لأن جميع الأديان قررت الحياة الآخرة وان اختلفت في كيفيتها.

﴿أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ﴾.(١)

والذين ينفون أمر المعاد إنما كلامهم على محض الاستبعاد، فانهم يقولون كيف تجتمع اجزاء البدن بعد التفرق والتشتت العظيم، ولا سيما من قطعت اوصاله وفرقت في مواضع متباعدة، وصار كل ذرة منها في مكان وكل جزء في قطر من الاقطار.

ألم يعلم هؤلاء بأن المني فضلة الهضم في عملية التغذية، وتنبث هذه المادة في اطراف الأعضاء كالطل والقوة الشهوانية تجمع تلك الأجزاء الطلية في اوعية المني بعد تشتتها وانبثاقها في جميع الأعضاء.

ألم يعلموا ان المني تولده الأغذية المتعددة التي كانت منبثة في أقطار العالم.

---

(١) سورة المؤمنون: ١١٥.

والاغذية من العناصر المتشتة المتباعدة.

فالذي جمع تلك الاجزاء المتباعدة المتفرقة المتشتة قادر على جمع اجزاء البدن بعد التشتت والتفرق واليه الاشارة بقوله تعالى:

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.[(١)]

العجب كل العجب لمن أنكر النشأة الاخرى وهو يرى النشأة الأولى.

﴿أَ وَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.[(٢)]

ومما لا شك فيه ان العقل السليم يدفع الانسان بالاعتقاد ان هذا العالم لم يخلق عبثاً، ولما كان خلقه بغير عبث وجب الاذعان بعقيدة الحشر والنشور.

فما هو الحشر! وما هو المعاد!؟.

الحشر او المعاد: يعني ان هناك يوماً قد تنتهي فيه الحياة الاحياء كلها، ولم يبق بعده موجود من الاحياء على وجه الارض من انسان أو حيوان او نبات...الخ.

﴿وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرامِ﴾[(٣)]!.

وفي ذلك اليوم يكون قد انتهى عمر الحياة الدنيوية الفانية ،وبدأ يوم الحياة الأخروية الأبدية الأزلية.

وفي ذلك اليوم يحاسب كل امرىء على ما فعله في دنياه أي في نشأته الاولى ليعاقب ان كان مسيئاً، ويثاب ان كان محسناً.

---

(١) سورة يس: ٧٩.
(٢) سورة العنكبوت: ١٩.
(٣) سورة الرحمن: ٢٧.

فهناك العدالة تتجلى بتمام معناها وكمال حقيقتها.

وفي ذلك المعنى السامي، وتلك الحقيقة الواضحة تتجلى اسرار نظام الحياة الدنيا، وتبدو اساس القوانين المعيشة والعمل في النشأة الاولى.

ومن البديهي لولا هذه النتائج الثابتة لما اطاع الانسان أوامر ونواميس الاديان في الدنيا.

ولو لا هذه العقبة لما كان للانسان رادع عن ملذاته الدنيوية، ولا مانع من اشباع رغباته وشهواته الحيوانية، ولا حاجز امام اعتداءاته للانسانية، ولا سبيل بينه وبين اطماعه وتحقيق آماله بازهاق حقوق غيره من افراد المجتمع البشري.

فهذه العقيدة يمكن ان يكون من الانسان اخاً للانسان وساعياً لما فيه الخير الانسان ودافعاً لما يجلب الشر للانسان.

وهذه المرحلة هي التي تخلق في النفوس البشرية محاسباً من ضميرها يحاسبها عن كل صغيرة وكبيرة يعملها في دنياه.

وهذه النظرية الفذة هي التي تكون في نفوس البشر قوة تنفيذية لكل اعمال الخير التي فيها صلاح البشر.

وبهذه العقيدة السامية تزداد حسنات الناس، وتقل سيئاتهم، ولولاها لما خطا هذا الانسان خطوة واحدة لغير مصلحته الشخصية ومنافعه الفردية.

فالمعاد والحشر والنشور من الامور اللازمة التي لا بد منها ولا يمكن لذي لب ان يدع للشك فيها مجالاً في نفسه. ﴿**وَما يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**﴾ [١].

---

(١) سورة المطففين: ١٢.

﴿وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ*ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ*يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله﴾.(١)

ولا بد من ان نعلم شيئاً مما يوصف به هذا اليوم الرهيب، وكيف تنتهي تلك اللحظة الأخيرة من هذه الحياة الدنيا، وهل يستطيع العالم الحديث أن يؤيد لنا هذه النظرية التي فيها حياة الافراد وسعادة البشر.

يصفه الله تعالى في كتابه قائلاً:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ*وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ*وَإِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ﴾.(٢) ومما وصفه فيه ايضاً قوله تعالى:

﴿إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ*وَإِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ*وَإِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ﴾.(٣)

وقوله سبحانه وتعالى ايضاً:

﴿إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ*فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ*وَإِذَا السَّماءُ فُرِجَتْ*وَإِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ*وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ*لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ*لِيَوْمِ الْفَصْلِ*وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ﴾.(٤)

هل يمكننا العلم الحديث بتصديق ما يمكن ان تعتري الشمس والنجوم والسماء والكواكب بهذه التغيرات الهامة؟.

---

(١) سورة الانفطار: ١٧-١٩.

(٢) سورة التكوير: ١-٣.

(٣) سورة الانفطار: ١-٣

(٤) سورة المرسلات: ٧-١٤.

هل يمكن أن تفنى كل الاحياء التي على وجه الارض أو في البحار أو في الهواء في لحظة واحدة؟.

هل يمكن أن يحترق كل سطح الكرة الأرضية بسرعة هائلة؟.

أيمكننا العلم من تصديق انفجار الشمس وفناء الارواح معلنة بتلك التغيرات انتهاء آخر لحظة من حياة الدنيا وابتداء حياة جديدة اخرى؟.

نعم، كل هذه الامور يمكن للعلم الحديث أن يجد لها سبيلاً.

فيقول الاستاذ (بروس بليفن) فيما عربته مجلة (المختار) في مجلدها الاول وعددها الرابع عن مجلة (نيوز بليك):

«يتخذ البشر اساليب كثيرة لينقلبوا عن أمر ما يحيط بهم من ظواهر الطبيعة، ولكن ليس بين العلوم علم يحدث في النفس من الشعور بالعظمة- والصفة ايضاً- مما يحدثه علم الفلك وقد قطع العلم في هذا الميدان شوطاً بعيداً، فأصبحنا نعلم».

«ان الكون أرحب واعظم مما كنا نتخيل منذ سنوات قلائل، حتى نكاد ننكر ما وصل اليه العلم».

«ان الاجزاء النائية من الكون تندفع في الفضاء بعيداً بسرعة مخيفة، كأنما قد بعثرها انفجار هائل».

(وان السماء ذت النجوم ما هي إلا واحدة على الاقل من ملائين امثالها من النجمية المنتشرة في الفضاء في جميع المجموعات الانحاء).

(وفي السماء ستة آلاف نجم يمكن ان تراها العين المجردة، ولكنها لا ترى إلا نصفها فقط في أي وقت من الاوقات).

(وقد انتهى رأي علماء الفلك إلى ان مجموعتنا النجمية قد تشتمل على مائة بليون من النجوم بعضها اصغر كثيراً من شمسنا، وبعضها اكبر منها اضعافاً مضاعفة، وهذه المجموعة النجمية، التي يسميها علماء الفلك (المجرة) هي من الضخامة والسعة بحيث يقضي شعاع الضوء الذي ينتقل بسرعة (١٨٦،٠٠٠) ميل في الثانية مائة الف سنة في مسيره من احد طرفيها إلى الطرف الآخر).

كان بعض التقدم المدهش في علم الفلك نتيجة لا ستخدام وسيلة تعدّ، في ابسط اشكالها مما يلهو به الاطفال، فانك اذا وضعت منشوراً (بلورة مثلثة) على حافة النافذة في ضوء الشمس المشرقة، فانه يعكس على الجدار مجموعة من ألوان قوس قزح.

(وهذه الألوان (الطيف الشمسي) تظهر دائماً مرتبة على نسق لا يتغير من البنفسجي إلى الاحمر، وكل لون منها تمثله امواج ضوئية من اطوال مختلفة. فيلقي المنشور هذه الالوان مصنفة طبقاً لهذا الاختلاف في طول الامواج الضوئية).

(والعناصر الطبيعية على اختلافها ترمي باشعاعها في امواج مختلفة الطول، ولذلك صار من الممكن بمعونة المطايف- جهاز تحليل الطيف وداراسته- ان نحدد نوع العناصر الكيميائية التي تتمثل في اي جسم يرسل شعاعاًمن الضوء).

(وبهذه الوسيلة يستطيع الفلكيون ان يثبتوا لنا على وجه التحقيق ان معظم العناصر الاساسية التي نجدها في ارضنا- البالغ عددها ٩٢- موجودة في جميع

الاجرام السماوية، في كل ناحية من النواحي، حتى لقد عرف وجود احد هذه العناصر في بعض النجوم، قبل ان يعرف وجوده على الارض).

(فمادة الهليوم قد اكتشف اولاً في الشمس).

(وقد يسر التحليل الطيفي للعلماء ان يقدروا درجة حرارة النجوم حتى استطاعوا ان يقدروا درجة حرارة النجوم البعيدة، وذلك لأن الاشعاع المنبعث من جسم متوهج يختلف باختلاف درجة الحرارة، فهو يبدأ بلون أحمر، ثم يمضي من الأصفر والأبيض إلى الازرق، وبذلك يجاري بوجه عام ترتيب الألوان في الطيف).

(ودرجة حرارة سطح الشمس تبلغ نحو -٦٠٠٠- درجة مئوية أو- ١٠٨٠٠- بمقياس فهرنهيت. أما درجة حرارة باطنها فربما ارتفعت إلى أربعين مليوناً بالمقياس المئوي).

(وحين ينفجر نجم على بعد ملائين الملائين من الأميال فأننا لا نجد فيه شيئاً إلا انه منظر من مناظر السماء).

(أما إذا حل مثل هذا الخطب بشمسنا- وليس بينها وبيننا سوى ٩٣ مليوناً من الأميال- فان هذا يكون الكارثة القاضية على الانسان وعلى جميع أعماله).

(فلا تكاد تصل الينا أول موجة من الحرارة والاشعاع المنبعثة من الشمس (وذلك في ثماني دقائق ونصف الدقيقة) حتى يهلك، بمرة واحدة كل شيء حي في الهواء والارض والبحار، ويحترق كل سطح الكرة الأرضية بسرعة هائلة، فما ندري ماذا دهى الأرض فدكها دكة واحدة!!).

(فما مبلغ احتمال وقوع مثل هذه الكارثة؟).

(والواقع انه ليس من الضروري أن تنفجر الشمس لكي يقضي على جميع مظاهر الحياة، بل قد يكفي أن يتغير اشعاع الشمس بمقدار لا يتجاوز واحداً في المائة زيادة او نقصاً).

(وسيكون هذا في الغالب، قبل ان تبلغ الشمس نهاية بقائها بزمن طويل).

(ولا بد يوماً ما، من أن تصبح الشمس باردة برودة تصير فيها الحياة على سطح الارض أمراً مستحيلاً، حتى ولو بقيت الشمس بعد ذلك مضيئة ملايين السنين).

(فاذا فكرنا في الخطر الذي قد نجم عن تقلبات تعتري الشمس، فتهلك بسببها الارض ومن عليها في دقائق أو ساعات معدودة، فانه لما يهدىء بالنا. ان نذكران الشمس والكواكب السيارة التي تدور حولها جميعاً، حديثة العمر بحسب التقدير الفلكي).

أليس في كل هذه المكتشفات العلمية الحديثة التي نقلنا نبذة مختصرة منها دلائل قاطعة في معنى قوله تعالى:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ*وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾.[١]

﴿إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ*وَإِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ*وَإِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ﴾.[٢]

---

(١) سورة التكوير: ١-٢.

(٢) سورة الانفطار: ١-٣

ألا يمكن لهذ الانسان أن يصدق امكانية وقوع هذه الحوادث الفجائية التي ستسبب انتهاء الحياة لكافة الاحياء على وجه هذه الارض في دقائق أو ساعات معدودة؟ والاعلان عن بدأ ذلك اليوم الجديد والحياة الاخرى التي ستبعث فيها من في القبور وستحاسب كل اولئك الناس عما فعلوه في الدار الدنيا هذه ليروا أعمالهم. **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ*وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾**.(١)

ولا أظن بعد هذا سيبقى ثمة ريب او شك في امر المعاد والحشر والنشر.

﴿أَ وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ اللهُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾.(٢)

....ربنا ما خلقت هذا باطلاً. سبحانك فقنا عذاب النار.

---

(١) سورة الزلزلة: ٧–٨.

(٢) سورة الروم: ٨.

الخاتمة

الآن... وقد اشرف البحث على ختامه، لا بد لنا من القول بأن الانسان لا يزال عند باب المعرفة وعلى شاطئها، ويبحث ويدرس اسرار الحياة بجميع نواحيها، رياضية كانت او كيميائية، وفلكية كانت أم فيزياوية..الخ.

وكلما تقدم في فيافي الاستقصاء، واوغل فيها، تبين له ان الكون وروائع العالم اوسع من ان يحيط بها علم الانسان. ان الكون كله بنجومه التي لا حصر لها، والتي تندفع في جميع الاتجاهات كأنها شظايا قنبلة منفجرة، صورة لا يكاد المرء يتخيلها حتى يدركه البهر وتنقطع أنفاسه.

ولكن... يبدو ان الاجدر بأن يبهر ويقطع الانفاس، وهو رؤية هذا الحيوان البشري الضئيل الذي يعيش على شظية من شظايا نجم صغير، في زاوية من زوايا مجرة لا تختلف شيئاً عن الملايين من امثالها.هذا الحيوان يجرؤ على ان يسمو ببصره الى اطراف الفضاء النهائية! يجرؤ فيتحدى، ثم يجرؤ فيستولي على بعض اسرار هذا الكون العجيب... لانه مكرم منذ خلقه خالقه في البر والبحر، ولانه خليقة الله في ارضه... ولان فيه نفخة من روحه.

ومما لا شك فيه انه كلما ازداد علماً بمعرفة اسرار هذه الحياة ازداد يقيناً بخالق الارضين والسماوات. وكلما اقترب من هذه المعرفة ازداد وثوقاً بوجوب الهداية من عالم السر والخفيات.

يقول الاستاذ (لويل توماس): (ان صورة العالم بعد الحرب خليقة ان تكون سخرية، مالم يتبواء الدين في نفوس الناس مكانه، ولو انا استمعنا جميعاً إلى ما يهيب بنا من اعمق اعماق روحنا، إذاً لما ذهبت تضحياتنا عبثاً).

فقد علمتنا الضرورة ان انطرح جانباً ذلك الدرس القديم اذا لاح لنا فجر يوم جديد واخذ امل جديد يختلج في كثير من الصدور، وجعل عامة البشر يحنون إلى الايمان بما هو اخلد من النفوس.

وان الذين قد نسوا الايمان شطراً من الزمن قد اطلوا الآن من فوق رأس المنحدر على مجهول الطبيعة يحضون على نشدان النجاة من عند الله القوي العزيز.

وان هذا الظمأ العام الذي يسود الكون كله إلى سلام حقيقي لا يمكن ان يطفأ إلا أذا قام عامة الناس في كل مكان بالدعوة إلى الدين والعمل به.

وقد انتهينا إلى زمن صار فيه لزاما على اهل الاديان جميعاً ان ينتهوا إلى حقيقة طال اغفال بعضهم لها. وهي ان ينبغي لكل امرىء ان يعمل بالدين، متبعاً لأوامره، ومتجنباً لنواهيه في كل شأن من شؤن الحياة اليومية.

وبالدين القويم تصير حياتهم ارغد واحفل بالخير والسلام.

فاذا آمن البعض وعملوا بما أمنوا به، كان خليقاً ان يمتد ويشمل الدنيا كلها.

وعندئذ يتيسر للبشر ان يعيدوا بناء هذا العالم الذي دمرته الشرور.

ولأن الدين، ككل خير آخر ينبغي ان يشرك فيه الآخرين.

ومما لا ريب فيه ينظر العلماء والنفسانيين، ان الحياة الدينية الصحيحة هي المثل الأعلى للحياة.

ومما يقول (دي إلتون تروبلد) استاذ فلسفة الدين بجامعة: (ستانفورد) في كتابه (مأزق الانسان الحديث). (ان المسائل الكبرى التي نواجهها اليوم ليست مسائل الحرب على عظمها، فما الحرب إلا عرض لداء مدنيتنا).

(ان اهم مسألة في زماننا هذا هي المسألة الروحية، فما لم تحل فان مدنيتنا تخفق، بل اننا قد ذقنا طعم هذا الاخفاق في كثير من ارجاء العالم. فعليه ان الوسيلة الوحيدة للتغلب على تحدي شرور الانسانية هي الاهتداء إلى ايمان كاف وهي الاذعان بشيء يستطيع ان يبتعث الحرارة في قلوب الناس ونفوسهم.

وما هي الا الدين والايمان به. فلا بد لنا نحن الناس - البشر - من هداية السماء. وما هي تلك الهداية السماوية إلا منحصر في ذلك الدين القيم وهو دين الاسلام. ومن ابتغى ديناً غير الاسلام فقد خسر خسراناً مبيناً.

فمهما تكن الاخطار التي تواجه الانسانية فأن الايمان بقوة علوية خارجة عن انفسنا يمحو الخوف والشك من العقل. ولزيادة الايمان بتلك القوة العلوية فرضت الأديان الصلاة والدعاء تقرباً إلى رحمتها.

ويمكننا ان نشبه رحمة الله تعالى بمولد كهربائي، وفي وسعنا أن نستمد قوة هذا المولد اذا وصلنا انفسنا به بالدعاء والصلاة، أو نستطيع ان نثبت انه لا اثر له في حياتنا بأن نصل انفسنا به بالدعاء والصلاة. فنحن وما نختار... ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ**﴾.[١]

﴿**رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ**﴾.[٢]

---

(١) سورة الانفال: ٤٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٠١.


تم بحمد الله



الفهارس الفنّيّة

- ❖ فهرس الآيات القرآنية
- ❖ فهرس المصادر والمراجع.
- ❖ الذوات المقتبس من كلماتهم وآرائهم
- ❖ فهرس المحتويات.

فهرس الايات

الآية	السورة	رقم	الصفحة
﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَـــاتٌ لِلْمُـــوقِنِينَ ﴾	الذارايات	٢٠-٢١	١٠٦
﴿ إِنَّ فِي خَلْـــقِ السَّـــماواتِ وَالأَرْضِ ﴾	آل عمران	١٩٠	١٠٦
﴿ وَتِلْـــكَ حُجَّتُنـــا آتَيْناهـــا إِبْـــراهِيمَ ﴾	الانعام	٨٣	١٠٧
﴿ ادْعُ إِلى سَـــبِيلِ رَبِّـــكَ بِالْحِكْمَـــةِ ﴾	النحل	١٢٥	١٠٩
﴿ وَإِنْ كُنْـــتُمْ فِي رَيْـــبٍ مِمَّـــا نَزَّلْنـــا ﴾	البقرة	٢٣-٢٤	١١٠
﴿ وَأَطِيعُـوا اللهَ وَالرَّسُـولَ لَعَلَّكُـمْ تُرْحَمُـونَ ﴾	آل عمران	١٣٢	١١١
﴿ وَإِنَّـــكَ لَعَـــلى خُلُـــقٍ عَظِـــيمٍ ﴾	القلم	٤	١١٨
﴿ قَـــدْ خَـــسِرَ الَّـــذِينَ قَتَلُـــوا أَوْلادَهُـــمْ ﴾	الانعام	١٤٠	١١٩
﴿ إِنَّـــهُ فَكَّـــرَ وَقَـــدَّرَ*فَقُتِـــلَ كَيْـــفَ قَـــدَّرَ ﴾	المدثر	١٨-٢٤	١٢٢
﴿ وَلَقَـــدْ نَعْلَـــمُ أَنَّهُـــمْ يَقُولُـــونَ ﴾	النحل	١٠٣	١٢٣
﴿ لِســـانُ الَّـــذِي يُلْحِـــدُونَ إِلَيْـــهِ ﴾	النحل	١٠٣	١٢٣
﴿ ثُـــمَّ تَوَلَّـــوْا عَنْـــهُ وَقـــالُوا مُعَلَّـــمٌ ﴾	الدخان	١٦	١٢٤
﴿ إِنَّا نَحْـنُ نَزَّلْنَـا الـذِّكْرَ وَإِنَّـا لَـهُ لَحافِظُونَ ﴾	الحجر	٩	١٢٥
﴿ إِنَّ اللهَ يَـــأْمُرُ بِالْعَـــدْلِ وَالإِحْســـانِ ﴾	النحل	٩٠	١٢٦
﴿ فَاصْـــدَعْ بِـــما تُـــؤْمَرُ وَأَعْـــرِضْ ﴾	الحجر	٩٤	١٢٨
﴿ ادْعُ إِلى سَـــبِيلِ رَبِّـــكَ بِالْحِكْمَـــةِ ﴾	النحل	١٢٥	١٢٨
﴿ وَلَـــوْ تَقَـــوَّلَ عَلَيْنـــا بَعْـــضَ الأَقاوِيـــلِ ﴾	الحاقة	٤٤-٤٦	١٢٨

فهرس المصادر والمراجع

١ - الدين والاسلام/ للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء.

٢ - الدين في طور الاجتماع/ لمحمد باقر الخميني.

٣- النافع ليوم الحشر في باب الحادي عشر.

٤ - الرسول- حياة محمد ﷺ/ د.د.ف بودلي.

٥ - الله والروح/ لخليل عزمي.

٦ - الرسالة/ مجلة مصرية.

٧- المختار/ مجلة مصرية.

٨ - كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي.

٩ - دائرة المعارف/ لمحمد فريد وجدي.

١٠ -مقدمة ابن خلدون.

١١ -معاد يا آخرين سير بشر/ باللغة الفارسية.

١٢ -مصابيح الأنوار في المبدأ والمعاد/ لنظام العلماء.

١٣ -نهج البلاغة/ شرح الاستاذ محمد عبده.

١٤ -شهر دانش -باللغة الفارسية- هادي نوري.

١٥-تبصرة المتعلمين/ للعلامة الحلي.

١٦-تاريخ الفداء.

١٧-توحيد اهل التوحيد/ للعلامة السيد هبة الدين الشهرستاني.

١٨-توضيح العقائد/ لعبد الرحمن الجزيري.

١٩-تفسير القرآن الكريم/ للبيضاوي.

٢٠-الاسلام دين الفطرة والحرية/ الشيخ عبد العزيز جاويش.

٢١-مجلات-لايف-الامريكية-.

٢٢-الهداية الاسلامية.

الذوات المقتبس من كلماتهم وآرائهم

١ - الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.

٢ - الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي.

٣- الأستاذ احمد حسن الزيات.

٤ - الاستاذ عمر الدسوقي.

٥ - الاستاذ محمد أحمد الغمراوي.

٦- الاستاذ سيد قطب.

٧- الاستاذ قدري حافظ طوقان.

٨- الاستاذ محمد فريد وجدي بك.

٩- الاستاذ محمد محمد المدني.

١٠-الدكتور عبد الوهاب عزام.

١١-الاستاذ عبد الرحمن الجزيري.

١٢-الاستاذ هيكل.

١٣-الاستاذ شيلنسنجر.

١٤-الاستاذ الدكتور مسمر.

١٥-الاستاذ فوستير دو كولانتر.

١٦-الاستاذ بارثلمي سانت هيلو.

١٧-الاستاذ غوستاولوبون.

١٨-الاستاذ كارليل.

١٩-الاستاذ داور اور كوهرت.

٢٠-الاستاذ بلكريف.

٢١-الاستاذ فمبري.

٢٢-الاستاذ رولنص.

٢٣-الاستاذ ليرد.

٢٤-الاستاذ رولند.

٢٥-الاستاذ استنلي.

٢٦-الاستاذ الدرلي.

٢٧-الاستاذ اسحق تيلر.

٢٨-الاستاذ وليم ميور.

٢٩-الاستاذ وشنطن.

٣٠-الاستاذ جيون.

٣١-الاستاذ ثبورت اسمت.

٣٢-الاستاذ شاتفليد.

٣٣-الاستاذ عبد الله وليم.

٣٤-الاستاذ كونس روجس.

٣٥-الاستاذ هرشل.

٣٦-الاستاذ كامل فلا مريون.

٣٧-الاستاذ ميلين أدوارد.

٣٨-الاستاذ سبنسر.

٣٩-الاستاذ فنوتل.

٤٠-الاستاذ العلامة لينية.

٤١-الاستاذ باكون.

٤٢-الاستاذ وليم طمسن.

٤٣-الاستاذ أون.

٤٤-الاستاذ دوسون.

٤٥-الاستاذ غراي.

٤٦-الاستاذ كربنتر.

٤٧-الاستاذ فلوتير.

٤٨-الاستاذ تشارلز داروين.

٤٩-الاستاذ لو كونت دي نوي.

٥٠-الاستاذ ملتون أورسلو.

٥١-الاستاذ روبرت مليكن.

٥٢-الاستاذ د.ف . بودلي.

٥٣-الاستاذ بروس بليفن.

٥٤-الاستاذ لويل توماس.

٥٥-الاستاذ د. التون تروبلد.

٥٦-الاستاذ لوك.

٥٧-الاستاذ برناردشو.

٥٨-الاستاذ فيخته.

٥٩-الاستاذ هيوم.

٦٠-الاستاذ ليسنج.

فهرسة المحتويات